الفصل الثاني من الباب الثالث

دعوة الأنبياء والرسل أقوامهم إلى عبودية الله

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اتفاق دعوة الرسل إلى الدعوة إلى عبودية الله.

المبحث الثاني: دعوة نوح عليه الصلاة والسلام إلى عبودية الله.

المبحث الثالث: دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى عبودية الله.

المبحث الرابع: دعوة موسى عليه الصلاة والسلام إلى عبودية الله.

المبحث الخامس: دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام إلى عبودية الله.

المبحث السادس: دعوة الرسول محمد r إلى عبودية الله.

المبحث السابع: نماذج دعوة بعض الصالحين أقوامهم إلى إفراد العبادة لله وحده ودعوتهم إليها.

المبحث الأول

اتفاق دعوة الرسل إلى

الدعوة إلى عبودية الله

المبحث الأول

اتفاق دعوة الرسل إلى الدعوة إلى عبودية الله

تتفق دعوات الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام – على مدار تاريخ البـــشرية الطويل في القضية الكبرى، والهدف الأسمى قضية التوحيد، أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل[١].

ولهذا كانت الدعوة إلى توحيد الله وعبوديته وحده لا شريك له هي القاعدة العامة لجميع الرسل والرسالات، قال تعالى: â ô‰s)s9ur $uZ÷Wyèt/ ’Îû Èe@ä. 7p¨Bé& »wqß™§‘ Âcr& (#r߉ç6ôã$# ©!$# (#qç7Ï⊥tGô_$#ur |Nqäó»©Ü9$# á[٢].

وقال تعالى: â !$tBur $uZù=y™ö‘r& `ÏB y7Î=ö6s% `ÏB @Aqß™§‘ žwÎ) ûÓÇrqçR Ïmø‹s9Î) ¼çm¯Rr& Iw tm»s9Î) HwÎ) O$tRr& Èbr߉ç7ôã$$sù á[٣].

ولهذا نادى بها كل نبي قومه فهذا نوح عليه السلام يدعوا قومه بها قائلاً: â ÉQöqs)»tƒ (#r߉ç6ôã$# ©!$# $tB Nà6s9 ô`ÏiB >m»s9Î) ÿ¼çnçŽöxî á[٤].

وقالها هود عليه السلام لقومه، وقالها صالح وشعيب وسائر الأنبياء عليهم الـــصلاة والـــسلام â (#r߉ç6ôã$# ©!$# $tB /ä3s9 ô`ÏiB >m»s9Î) ÿ¼çnçŽöxî á[٥].

وقال محمد r في الحديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمـــداً رسول الله) [٦].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢١/١) .

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٤) سورة الأعراف: ٥٩.

(٥) سورة الأعراف: ٦٥، ٧٣، ٨٥ .

(٦) أخرجه البخاري (١٧/١) برقم (٢٥) ومسلم (٥١/١) برقم (٢٥) .

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية؛ ولهذا كانت وظيفة جميع المرسلين هي الدعوة إلى الله وإفراده في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته[1].

قال تعالى: ŵ $kŽ¤æ ¨ $Z9$•Üù ÓÉ$‹ $N•Öü $Z‹Ïm Ëè#ï 7gô_r Ôï'ù â [2].

وقال تعالى: á ÇÙ öF{$r ÏºqJ¡ 9$ÌÜ$ù Æ© «‹$'Î& â [3].

وقال – عليه الصلاة والسلام - (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [4].

وقضية الدعوة إلى عبودية الله وحده لا شريك له قضية لا تقبل التبديل ولا التغيير، ولا تتعرض للنسخ بحال من الأحوال، بل هي قاعدة ثابتة راسخة واضحة جلية تمسك بها الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – ولهذا أمر الله رسوله محمداً r بالتزام عبودية الله تعالى حتى الممات، قال تعالى: á ÇÈ Úú üF‹$6 7‹ïƒ ÔÏm 7/' $6ê$r â [5].

فبما أنهم – عليهم الصلاة والسلام – متفقون في أصول الإيمان وأصول الدين فهم أيضاً متفقون في أصول الشرائع غالباً: كالصلاة، والزكاة، والصيام والجهاد، والقصاص والزواج، وأصول الأخلاق، والفضائل، وقضايا الإيمان باليوم الآخر: كالبعث، والنشور والحساب... الخ.

وذلك؛ لأن مصدر التشريع واحد، فقد شرع الله لعباده ما يصلح شأنهم على امتداد رحلة البشرية، وأرسل الله في كل أمة رسولاً بشيراً ونذيراً؛ ليجدد ما اندرس من معالم أصول الدين، ويضيف بأمر الله ما يناسب كل قوم من شرائع في فروع الدين $Yè_ @ â

---

(١) انظر: العقيدة الطحاوية (٢٩/١) .

(٢) سورة الروم: ٣٠.

(٣) سورة إبراهيم: ١٠.

(٤) أخرجه البخاري (١١٨/٢) ومسلم برقم (٦٨٥١) .

(٥) سورة الحجر: ٩٩.

á ¼[$g¥Ïr ÆãžÅ ¼ãZÏ[1] فالاختلاف إذن في فروع الشرائع، وفي ميادين التطبيق العملية في كثير من الأصول، ولكن يبقى الجوهر واحداً في رسالات الأنبياء، فكل شريعة تصدق مـــا قبلها من الشرائع، وتمهد لما بعدها وجاء القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتـــب الـــسابقة ومهيمنا عليها بما يشتمل عليه من استيعاب لجوانب الكون والحياة كلها، وما يصلح البشرية إلى قيام الساعة[2] É»GÅ6 ¢Ø`Ï ïƒ‰ƒ šú ï/ $JÏ $ÏÏÁÃÈ¢sØÏ =»GÅÆ7 ØÎ $ZØR&r â .[3]á ïnøã $¥Ïgã

---

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن، د. زاهر الألمعي ٣٦.

(٣) سورة المائدة: ٤٨.

المبحث الثاني

دعوة نوح عليه الصلاة

والسلام إلى عبودية اللّه

المبحث الثاني

دعوة نوح عليه الصلاة والسلام إلى عبودية الله

إن التركيز في كل رسالة كان على أمر واحد وهو: تعبيد الناس كلهم لربهم وحده رب العالمين؛ ذلك أن هذه العبودية لله الواحد.

ولرسوخ هذه القاعدة في النفوس، وثباتها واستقرارها، أُرسل الرسل وأُنزلت الكتب وخلقت السموات والأرض، وخُلق الإنس والجن قال تعالى: [illegible]

[illegible].(١)

ولأجل هذا بعث الله آدم عليه السلام إلى أولاده فعلّمهم دين الله، وجاءت أجيال بعده على الإيمان والتوحيد، ثم طرأ عليهم الشرك والكفر بعد ذلك، وتمكن الشيطان من إغواء وإضلال أجيال أخرى، فظهر فيهم الشرك بالله وعبادة الأصنام فبعث الله نوحاً عليه السلام نبياً ورسولاً؛ ليدعو هؤلاء الكفار المشركين إلى الإيمان بالله وتوحيده؛ ولعظم شأنه وشأن تحمله لهذه الوظيفة ذكر اسمه ثلاثاً وأربعين مرة في كتاب الله(٢).

قال تعالى: [illegible]

---

(١) سورة الذاريات ٥٦ – ٥٨.

(٢) القصص القرآني (١/١٥٦ – ١٥٧).

šú ï‰9ãqè wr Ò• =B 'ðãqè wr = ó¢Ñ=æ wr ‹ ¢ÉÉ“z “ ‰Yãa 9ãqè wr ÇÌÈ

ÇÌÈ ûüÙî»9$`ÙG¤Ê) þð ¼gÅãR þÎ $JÎ Ñ=æ ª $ #žöz ª $ÑÏs÷ã`9 ¼ãæã ü íŠ–?

ÇÌÈ ûüŸ‰»Á9$`Ë MYà2 bÎ $R‰è? $JÎ $YÏÙ $Y9‰Å N¾Yò2 'ù $YF‰»_ ‰ ¼qãƒ{q‰

Ñ NŠ'& ÞÎ ÚÑÁ çãæÿƒ ŸŸr ÇÌÈ ûïÏÉè¤Î OÇR $Br ä$© bÎ ª $ÏÎ NãŠÏÙƒ $JÑÎ A$%

šc qãàƒ Q ÇÍÈ šc qã_ëëïøÎr ¼ãŠ' qè ¼ãƒÈóÃb ‰ƒ•ãª $b‰. bÎ ¼a9 x ÁR

.(١) á ÇÌÈ bqãÈgè $ÐÈ ÚÏ ï/ $Br ' Í#•ô Î ¥?èù ¼çÇ¥Ïæ$ÐÎ @è ÇŽÏæ$

وقد أبرز الله تبارك وتعالى في صدر هذه الآيات المباركات ثلاث حقائق هي أهم ما يدعوا إليه الأنبياء والمرسلون، فالحقيقة الأولى هي وجوب العلم بأنه (لا إله إلا الله) والحقيقة الثانية هي إثبات الرسالة، والحقيقة الثالثة هي الإيمان بالبعث بعد الموت، وقد لوحظ أن جميع السور المكية من القرآن الكريم يدور فلكها لتحقيق هذه الحقائق الثلاث، ولا شك أنه لاسعادة للإنسانية، ولا استقرار لها، ولا أمن ولا طمأنينة، إلا استظلت في ظل هذه الحقائق الثلاث وآمنت بها، وسارت على منهاجها في جميع ما تفعل وما تذر من شئون حياتها، وهذه الحقائق الثلاث نبه الله عليها في مطلع قصة نوح – عليه السلام - [٢] قال تعالى: þð ©$ŽÎ ¥Ÿ?è? Žv b ÇÍÈ êú ÜÎ$ ÖÉR ¼ã9 'ðŸÏÈq ‰4‹Î ‰nqç$ZÙ™Ö ‰)9r â

.(٣) á Ò$Ï‰ Þöƒ >#‹ã ¼ãæ$Ñ‰{

وقد طرح قوم نوح – عليه السلام – أربع شبه واجهوا بها نوحاً – عليه الصلاة والسلام – في سورة هود.

الشبهة الأولى: " $Y=¥Ë #‹±0 ŽÎ š• 1•R $B "[٤] .

الشبهة الثانية: " Ä ÙÑ$ " Ï$/ $Y8Ë#'& ¼ã šú ï‰Ñ$ŽÎ š• è7?$š• 1•R $Br "[٥] .

الشبهة الثالثة: " @Ò ù `Ë $Zðã ¼ã9 3‘ •R $Br "[٦] .

---

(١) سورة هود: ٢٥ – ٣٥.

(٢) قصص الأنبياء القصص الحق، لعبد القادر شيبة الحمد، ٦١.

(٣) سورة هود: ٢٥، ٢٦.

(٤) سورة هود: ٢٧.

(٥) سورة هود: ٢٧.

(٦) سورة هود: ٢٧.

الشبهة الرابعة: " šú ïÏ%©!$# tbqè=yJ÷ès? ÇÊÈ " .

أما عن تفنيد الشبهة الأولى: تعجبهم أن يكون بشراً رسولا، فهم يدَّعون بهذا القول أن البشر لا يصلحون لأن يكونوا رسلاً يرسلهم الله، زاعمين أن البشرية تمنع من الاتصال برب العالمين، لتلقي رسالة الله منه، وتمنع من الاتصال برسول رب العالمين من الملائكة؛ لتلقي رسالة الله عنه[١].

وهذا تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم[٢]، ولجهل هؤلاء حقيقة نعمة الله وفضله عليهم في إرسال الرسول من البشر؛ لكي يكون أيسر في الاقتداء والتأسي به والأخذ عنه[٣] قال تعالى: b& ¨ $Z9$ìZB $Br â

ÇJ öF{$'Îšc ¾. öqC@èÇíÈ zvqÏS§#Z³0ª! $] è/&(pb$% b& w) # ‰gbæèª` ö) (pzBsã

á ÇíÈ zvqÏS§$Z6 =B ä$J¡9$šÆ B Oßgæ $Zø\9 ûüÏÏJöãšc qè=ƒ6 í»=B[٤] فلو أرسل تعالى رسولاً من الملائكة ما تحمّله الناس، و لم يتمكنوا من الاختلاط معه والجلوس حوله.

أما عن تفنيد الشبهة الثانية: تنقصوا أتباع نوح - عليه السلام –؛ لأنهم بادروا بسرعة الاستجابة لأمر نوح عليه السلام من غير نظر ولا روية[٥].

وقوله: "$YèÏ#'& tìèd šú ïÏ%©!$#[٦]" أي إلا الذين هم سفلتنا من الناس، دون الكبراء والأشراف فيما نرى ويظهر لنا [٧].

وتفنيد هذه الشبهة: أن قولهم هذا دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم

---

(١) قصة نوح للميداني ٨٩.

(٢) الكشاف ٤٨١.

(٣) حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن ١١٤.

(٤) سورة الإسراء: ٩٤ – ٩٥.

(٥) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ٥٠.

(٦) سورة هود: ٢٧.

(٧) جامع البيان للطبري (٢٨/٧) .

الأراذل ولو كانوا أغنياء، ثم الواقع غالباً أن ما يتبع الحق ضعفاء النـــاس، والغالـــب علـــى الأشراف مخالفته[1] والدليل على ذلك قوله تعالى: â r. ‹ 7ÿ‰ $B Ó&™Ù÷Z$ Ë` 7î7% ’Î 7/é% Ë`

وحال[2] á šc r‰FÏB NÌdÏ»O#ä #?ã $RÎ)r 7B‰é#?ã $Rä$/#ä $R‰ ` r $RÎ) $dqèùZtB A$% žwÎ) ©ÏÉR

هؤلاء مع نوح عليه السلام كحال كفار قريش مع رسول الله r حينما أراد منـــه طـــرد المؤمنين الضعفاء.

ولما سأل هرقل – ملك الروم – أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات رســـول الله r ، قال له فيما قال: أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم قال: بل ضعفاؤهم فقال هرقل: هم أتباع الرسل [3].

وتفنيد الشبهة الثالثة: "r$B 3“ •R Nä3s9 Ÿâ$Z‹ Ë` ù Ò@ô"[4].

أي وما نتبين لكم علينا من فضل قلتموه بمخالفتكم إيانا في عبادة الأوثـــان إلى عبـــادة الله وإخلاص العبودية له، فنتبعكم طلب ذلك الفضل، وابتغاء ما أجبتموه بخلافكم إيانا[5].

وتفنيدها: أن نوحاً – عليه السلام – بين فضله وفضل من آمن معه بأنه على بينـــة من ربه وقد آتاه رحمة من عنده، وسلب المكذّبون ذلك[6] â A$% ƒ» (#qä‹ &‘ä‹#‰ bÎ) äZM‰ ã?4

ÇËÈ bqè‹Ì»x. $l; óOçFR&r $dqßJä3ßìÌ“ù Ré& ô©Ïu Nä‹ Ù%¼ñ‰Zä ôÏB pHq‘ ÓÍ_9?#är ’În1` Ë p7ÝhÉ

NßgRÎ) #(þq߉B#ä ûïÏ%©!$# ÏŠÍ$Üß $R& $Br 4 #$’?ã žwÎ) “Ìô_& bÎ) w$B ¼Ïmøn= Nä3 è‹ÅÏ& Iw Qöq)»ƒr

Ÿxù& 4Nåŝ•Û bÎ) «!$ Ë` ’ÎTãÁZƒ ` B Qöq)»ƒr ÇËÒÈ šc qè‹gB $YBöq% Nä31‘& Ó_Å$9r Nåkͦ #(qà)»=B

Iwr Ò• =B ’Îj Aq%& Iwr |=ø‹óø9$# NßJn=æ& Iwr «!$ ßÍ!#“z “Ï‰YÏã Nä39 Aq%& Iwr ÇÌÈ brã2 ‹?

`Ü©#ÎÉ) pÎj Någ‰Å#ÎR& pÎ $J?Î Nä=æ& ª! $ #Žöz ª! $Nåk Ÿ?s ã` 9 Nä3Zããå& ü“ íŠ÷? šú ïÏ%©! Aq%&

$©9Î»©ÛÌÏ9 û ÇÌÈ á[7].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٧٧) .

(٢) سورة الزخرف: ٢٣.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٤٦٩٥) .

(٤) سورة هود: ٢٧.

(٥) تفسير ابن جرير (٧/٢٨) .

(٦) زاد المسير ٦٥٠.

(٧) سورة هود: ٢٨ – ٣١.

هل كان هؤلاء الطغاة المتمردون مقتنعين بما قاله نوح – عليه السلام – لهم؟ لم تؤثر كلمات نوح – عليه السلام – في نفوس القوم، ورأوه لا ينكف عما كان عليه من دعوتهم، و لم يدركوا منه مطلوبهم[١].

`Ï MYà2 bî $R‰ë? $JÎ $Yïù $Y9‰Å N¾Yò2 'ù $YF‰»_ ‰% ßqã»ƒ {q‰% â

ÚÕÁçïãäÿZƒ ŵr ÇÌÈ ûïÌÉè¤Î OÇR& $Br ä$© bî ª $ÌÎ Nã$ïÙƒ $JRî A$% ÇÌÈ ûüÏ‰»Á 9$

.[٢]á ÇÍÈ šc qã_ëèïøîr ßã$‘ qè ßãƒëøãb& ‰ƒÌã ª $b%. bî ßã9 x ÁR& Þ& ŠŠ‘& Þî

تفنيد الشبهة الرابعة: " šú üÎÉ». ßã¥ÁR Ø/ "[٣].

كذبوا في قولهم هذا فإنهم رأوا من الآيات التي جعلها الله مؤيدة لنوح عليه السلام ما يوجب لهم الجزم التام على صدقه[٤].

- **تفنن نوح – عليه السلام – في أساليب الدعوة يدل على نجاحه فيها:**

بعد ما رأى نوح عليه السلام مجادلة قومه، وإعراضهم عنه، ووقوفهم ضده وأنه اتخذ معهم جميع أساليب الداعية إلى الله، كأسلوب الترغيب، وأسلوب التحبيب إلى أسلوب الترهيب إلى أسلوب البرهان، إلى الدعوة السرية، إلى الدعوة العلنية، إلى الدعوة في الليل إلى الدعوة في النهار اتجه إلى ربه ليبين له حالهم مع الدعوة[٥].

'ðr ÇÏÈ #Y¶•ï ŭv) ü ä!æß Ôèš'ƒ ß=ù ÇÎÈ #Y$gRr Ww ø 'íq% ßqãš 'ðÉ‘ A$% â

{rŽ9ßFÖ$ {r•À&r ßã$ßÌ {q±óÇÖ$ ßÍÍ#Œ#ä þÎ Lèê» ¹ & {pè_ ÓG9 •ÿóÇï ßã$qãš $J=à2

.[٦]á ÇÌÈ #Y¶žó) ßç; ßÌžó&r ßç; ßMZ=ã& þð ßêÇÌÈ #Y$gÅ ßãqãš 'ðÇÈ #Y%ßÌÖ$

بعد ذلك أخذ نوح – عليه السلام – يذكر بنعم الله عليهم، والمنن التي امتن بها عليهم قال تعالى: /ãøæ ä$J¡ 9$ß@¶ëãÇÈ #Y$ÿî šc ‰. ¼çÎ ßã‘ {rÿóFÖ$ßÌà ù â

---

(١) انظر: تفسير السعدي ٣٨١.

(٢) سورة هود: ٣٢ – ٣٤.

(٣) سورة هود: ٢٧.

(٤) تفسير السعدي، ٣٨٠.

(٥) قصص القرآن (١٦٧/١) .

(٦) سورة نوح: ٥ – ٩.

ŵv ŏâ9 $B ÇïÈ #•»k¥& ŏâ©@èøŏr ¸M»Z_ ŏâ©@èøŏr ûüŸ/r ª°qÞ'Î /äš¼ðãr ÇïÈ #Y#'ŏâÞ ÇïÈ $¼$7Ûˌ¸N°q»J™ ì ŏ™ª! $,={ #ø. ŏ(r•?Ô9& ÇïÈ #:#qÔ& ŏâ)={ ŏ&r ÇïÈ #Y$%r ⊣ bqã_ö? ŠêÇïÈ $Y%7R ÇÚ öŒ{$`Þ /âF;Ø& ª! $r ÇïÈ %[#ŽÅ § ð=9$Ø@è_r #Yqç£ÍŽü•J)ØŠØ@è_r WvÇ$ $k¼Þ ŏ(qâèçFÞ ÇïÈ $Ûß¡Î Ú öŒ{$ââ9 Ø@è_ ª! $r ÇïÈ %[#•zÎ Šà6 ã_ì•ßâr $kŽü ŏâŠêã .(١)á ÇïÈ %[$Úü

أما عن شبه قوم نوح – عليه السلام – التي أثيرت في سورة الأعراف:

ôÞ Nâ9 $B ©$(r‰çã$Éçö)»ƒ A$)ù ¾ïÞçö% 4<Î %nqç$Z¤™ö& ‰)9 â: فقد قال تعالى

@»=Ê 'Î 7 1Ž\9 $RÎ ¾ïÞçö% `Þ _ J¤A$% ÇÎÈ ÐŠà ã Ëçö/ƒ >#‹ã Šâæœ ß %{& þÐÎ ÿçžöî ª»9Î

Ïм»=»™í Šâäé ÇïÈ šú üï»è¤É§ `Þ ^qß' Ó[Å»9r ¼#»=Ê 'Î § ø Ëçö)»ƒ A$% ÇïÈ ¤ÎÞ

4?ã ôâÎ§ `Þ öŒ ôää! ` b& ôÉöÉ ãr& ÇïÈ bqß-è? Ŵv $B «ï $šÆ Þ Ð=æ&r ŏâ9 ß Á R&r 'Îï

Å ç¤Þ'Î ¼çèB ûïŸ% ß ç»Zžf R'ù çqçœ3ù ÇÎÈ bqçqéêŏâ=ê9r ëqàGF9r Šâ'ÉZäï ôâZÞ @ã_' .(٢)á ÇÎÈ šú üÜã $Þçö% ëqçŸ2 Šâî $Ÿ6»ƒ$«Î ëqçœŸ2 ûïŸ% $$Ÿ¼ø ø&r

الشبهة الأولى: â .(٣)á ÇïÈ ¤ÎÞ @»=Ê 'Î 7 1Ž\9 $RÎ ¾ïÞçö% `Þ _ J¤A$% â

وصفه قومه بالضلالة أي العدول عن طريق الحق(٤)، ولم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالاً مبينا واضحا لكل أحد، وهذا من أعظم المكابرة(٥).

ولكن نوح – عليه السلام – رد عليهم رداً لطيفا فقال: " ¼#»=Ê 'Î § ø " كعادته من ربط الجأش، وكظم الغيظ، والتحلي بسمة الرسول الكريم، فلم تصده لجاجتهم عن

---

(١) سورة نوح: ١٠ – ٢٠.

(٢) سورة الأعراف: ٥٩ – ٦٤.

(٣) سورة الأعراف: ٦٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٢٣٤).

(٥) تفسير السعدي، ٢٩٣.

الاستمرار في بيان الحقيقة التي غفلوا عنها، في طلبهم أن يعاجلهم بالعذاب، كما مر في بعض سور القرآن، فبين لهم أنه ليس سوى رسول من الله مبلغ رسالة ربه[١].

فقوله: "ÿ¼ÃÎ ' Ï § ÿ¿"[٢] نفي للضلال من نفسه الكريمة، بأبلغ وجه فإن التاء للمرة، لأن مقام المبالغة في الجواب لقولهم الأحمق يقتضي ذلك، والواحدة المستفادة منه باعتباره أقل ما ينطق، فيرجع حاصل المعنى: ليس بي أقل قليل من الضلال فضلا عن الضلال المبين[٣].

بل كان نوح عليه السلام حريصاً على نصح قومه وهدايتهم، وهدايته من جنس هداية إخوانه أولي العزم من المرسلين، أعلى أنواع الهدايات وأكملها وأتمها وهي هداية الرسالة التامة الكاملة[٤].

الشبهة الثانية: احتجاجهم بالبشرية في إرسال الرسالة: ولكن نوح – عليه السلام - بين لهم هذا بقوله: " šú üÏ»è‚ÉÉ§`ÏBÆqÏ3'ÓÍ_Æ»9r "[٥].

قال قوم نوح عليه السلام إنك رجل منا فكيف يجعلك الله رسولاً لنا وأنت واحد منا؟ " أي من البشر " واحتج قومه بمقولة تبين جهلهم حيث قالوا إن كان الله سيرسل رسولاً فلابد أن يكون من الملائكة[٦] وهذه معارضة بالمشيئة باطلة، فحكمته سبحانه ورحمته تقتضي أن يكون الرسول من جنس الآدميين؛ لأن الملك لا قدرة لهم على مخاطبته، ولا يمكن أن يكون إلا بصورة رجل، ثم يعود اللبس عليهم كما كان.

وقد أجابهم بإزالة استغرابهم وتعجبهم: لقد شاء رب العباد أن يجعل رجلاً منهم نبياً عبداً صالحاً، دعاهم للتقوى، وقدم لهم الإنذار والتوجيه؛ ليؤمنوا وينالوا رحمة الله[٧]. قال سبحانه: `ÏBNà6 9 •ÿ¾ó‹Ïtä‹qãƒ‰ƒf ÇÚöF{$#ÏN≡q»Jï¡9$#ÏÙ$ùÆ©«!$#Ï&ÎÓgÎ/Ï™â‘%â:

$Rr‰Ÿ2?b&brß‰ƒÏè$ZÏÏB ž³ÐŽÏvÎÓÉ&ÞÎ)(þ‰ƒ‘ÏwÏBÐ_&#†‹ÎÑNà2•ÏŽsÆrNà2qçF

Ö±0 žvÎ ßtØ bÎ ÑG3ÈŸâ ÑG9 ÑM9$% ÇïÈ &ú üÎÞB 9»ÜtÙÝÎ $Rq2ùü $RÆt/#ä Þ‰Ç2è‹ šc %. $Ð±ã

. á ¾íÑŠ$6Ëã ôÏB âÆ±„ `B 4?ã • Ð‹ ©Ð$£Â»9r Ñà6 èÐB

أما عن تفنيد شبهتهم في سورة المؤمنون:

ö9r Ñà6 øæ ŒŽÐÿGƒ b‰ Þ‰ƒÌ•ãƒ2ãèÐB ž³0 žvÎ ‡‹»d $B ¾ïÐBö% `Ð ‡rëÿ. ûïŸ‰Ð$‡è¯J¤ÐA)ù â

þŽÅ ¾ïÎ Ž@ã‘ žvÎ qèÌ ÞÎ ÇíÈ û‚ÎïŸF{$$ZÍ‹$/#ä þÎ #‹»ís $ZèÜ™ $B þŽ3í»=B A“RÝ ª¦ $Ðä$©

.[1] á ÇíÈ ‰üïm ÁŒm ¾ïÎ ‡qŸÁ/ŽIù

الشبهة الأولى: (أنه بشر مثلهم) وقد سبق تفنيد هذه الشبهة.

الشبهة الثانية: (وصفهم له بالجنون) كما قال تعالى في سورة القمـــر â * .

.[2] á ÇÌÈ •Å‚ŠèÐr ‹qãŽqC ‡qè‰r $R‰öã ‡qÇ¤3ù ¥qÇ

" ¾ïÎ Ž@ã‘ žvÎ qèÌ ÞÎ "[3] أي مجنون فيما يزعمه من أن الله أرسله إليكم واختصه من بينكم بالوحي، " ‰üïm ÁŒm ¾ïÎ ‡qŸÁ/ŽIù "[4] أي: انتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه، ولكنه بعد ذلـــك دعـــا علـــيهم "Ëqǹ2 $JÎ ’ÎŽÇ$ÐÉ‘ A$%"[5] فاستجاب الله دعاءه[6].

أما عن شبهتهم في سورة الشعراء فقد قـــال ســـبحانه: 7 è7?Ð 7 9 ßÐs‰ç‡qè‰% â

brëãâ¦ö9 ’Îr 4?ã žvÎ ÑÐèï m ÞÎ ÇíÈ šc qèÌJè‚ƒ‡qÐ. $JÎ ‘ Ï‹ë $Br A$% ÇíÈ bqÐÉöF{$

.[7] á ÇíÎÈ ‰üÎÞB ÖÉR žvÎ ÐB ÞÎ ÇíÈ û‹ŸÐs‹ÐÐÍ$ÜÎ ÐB $Br ÇíÈ

---

(١) المؤمنون: ٢٤ – ٢٥.

(٢) القمر: آية ٩.

(٣) سورة المؤمنون: ٢٥.

(٤) سورة المؤمنون: ٢٥.

(٥) سورة المؤمنون: ٢٦.

(٦) تفسير ابن كثير (٣/٣٢٤ _ ٣٢٥) .

(٧) الشعراء ١١١ – ١١٥.

لقد وصف قوم نوح عليه السلام هؤلاء الذين اتبعوا نوح عليه السلام على الإيمان بالأرذلون.

وهذا يدل على تكبرهم وبعدهم عن الحق، وإلا فقوم نوح عليه السلام هم الأعلون خيار الخلق أهل العقول الرزينة، والأخلاق الفاضلة، وأن الأرذل من سلب خاصية عقله فاستحسن عبادة الأحجار، ورضي أن يسجد لها ويدعوها، وأبى الانقياد لدعوة الرسل الكُمَّل، وبين لهم نوح عليه السلام وظيفته الأساسية مع عموم الخلق وهي التبليغ، أما هؤلاء الذين آمنوا معه فحسابهم على الله تبارك وتعالى، ونفى تمام النفي عن نفسه إهانتهم أو طردهم، بل هم بحق يستحقون الإكرام[١] قال تعالى: $ZÖ»ƒ$«Ï bqæBsšú ï‰G$8ä!` #Œ)r â: á pJô¹$ÏÅÝR 4?ã Nèd‘ =G. Nèœ Ñ»™ Oà.

وفي هذا إرشاد إلى الدعاة إلى الله جميعا أن يحرصوا كل الحرص على الأسلوب النافع في مجال الدعوة، وهو السعي في العمل على إزالة الشبهة التي قد تعرض للمدعوين، وإزالة العجب والاستغراب عنهم، فلعلهم يلبون النداء ويستجيبون للدعوة وهذا أمر يجب أن يفهمه الدعاة لأهميتها[٢].

وقد تبين من خلال الشبهات التي أثيرت حول نوح عليه السلام من قبل هؤلاء المعاندين الكافرين، ورد نوح _عليه السلام_ على هذه الشبهة وتفنيدها في سورة الأعراف، وهود والمؤمنون، والشعراء أنها شبهات تتكرر مراراً مع مرور الزمن، ومع مجيء رسول من الرسل تثار هذه القضايا نفسها من قبل المخالفين المعارضين لدعوة الرسل[٣].

- وبعد إثارة هذه الشبه ماذا كان موقف قوم نوح – عليه السلام - ؟ هل آمنوا به بعد تفنيده للشبهات وتفننه في أساليب الدعوة إلى الله؟ والتي أظهرت فعلاً أنه داعية ناجح يخوض غمار الحق ولا يخاف في الله لومة لائم !

قال الله عنهم: ó8 íFø? Yù `B#ä‰ `B ŸwÎ) 7Bø‰ `B šÆB sŒ`9 ¼çR& 9qç4Î) št Çrâ:

á ÇÌÈ šc qè=øƒ¿2 $JÎ.[٤].

---

(١) انظر: تفسير السعدي ٥٩٤.

(٢) حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن، ١٢٣.

(٣) انظر: قصص القرآن، لصلاح الخالدي (١/ ١٧٥) بتصرف .

(٤) سورة هود: ٣٦.

وقال عز سلطانه: [1].

وقال أيضاً: [2].

وقال: [3].

قال تعالى: [4].

عندها هددوه بالرجم: [5].

وقال سبحانه: [6].

ولما مكث نوح – عليه السلام – يدعوهم إلى عبودية الله ألف سنة إلا خمسين عاما، ويئس من دعوتهم وعلم أنه لن يؤمن معه إلا من قد آمن، التجأ إلى الله يشكوا حال قومه [7].

ودعا عليهم بالهلاك بحيث لا يبقى أحد من الكفار حتى لا يكونوا عوامل هدم وتخريب لمن جاء بعدهم

---

(١) سورة هود: ٤٠.

(٢) سورة يوسف: ١٠٣.

(٣) سورة سبأ: ١٣.

(٤) سورة نوح: ٢١ – ٢٢.

(٥) سورة الشعراء: ١١٦.

(٦) سورة يونس: ٧١ – ٧٢.

(٧) سورة الشعراء: ١١٧ – ١١٨.

`J9r £' $Î°q9r 'íœÿø$Éæ§ÇÈÈ#Y$ÿY2 #•Å$ù žvÎ ÿ$Îƒ Ÿr š, Š$6Ëä (q•Ðäà Ëö‹? bÎ

.[1] á ÇËÈ#Ï$7? žvÎ ûüÏÍ»Ø9$ŠÏ? Ÿr M»YÐs-Ø9ûüŽÐs-Ø9r $ŽÐsäš_ Ëžv Ÿz Š

وقال سبحانه وتعـــالى: šV qáƒ Ÿr ¾æ#qß Ÿr #šr bâ‹? Ÿr ßÆGgÏ#ä bâ‹? Ÿr (qø%r â

.[2] á ÇËÈ#ŽÆ§r -qãƒr

- نوح - عليه الصلاة والسلام – يصنع سفينة النجاة:

قال تعالى: Ÿxù `B#ä ø% `B žvÎ 7Ïbq% `Ï šÆ Ïs-ã `9 ¼çR& 9qç4‹Î št Çrér â

(þ3-ß ûïÏ%©$'Î ÓÍ_ÜU»ƒÉ Ÿr $Yšôrr $Žïãã'Î 7 ùø$#Æ3 $ Çl̈È šc qèÿƒ (qç. $JÎ ó$ ÍF?

bÎ A$% qŽÉ (ræë, ™ ¾ïÏbq% `Ï d B ïøã $B $J=ä2 r š• ùø$#ßZÁƒr ÇÌÈ bqè=øB NåÎ

ïƒÌƒäà Ò#‹ã ï‹ÏÚƒ `B šc q3-è? $q¡ù ÇÌÈ brã, ó $J. ÑäŽÏ ã, ó $ÑÎù $ŽÏ (ræã, ó?

@à2 `Ï $kŽÜ ÐÏè-q$$Yè ê qZF9$$‘$ür $RêÐ% ä! ` #Œ) ÐÏm ÇÌÈ ÐŠÉÏ ÑU #‹ã ïøã @Ï†r

.[3] á ÇÍÈ@‹î% žvÎ ÿçè B `B#ä $Br `B#ä ôBr Ãq)9$ïøã ,7™ `B žvÎ š• =d&r Ëžv9$Ëè `r-

" âqZF9$‘$ür ": أي صارت الأرض عيوناً تفور متى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار وصارت تفور ماءاً.

فحينئذ أمر الله نوحا – عليه السلام – أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح قيل وغيرها من النباتات اثنين ذكراً وأنثى[4].

" Ãq)9$ïøã ,7™ `B žvÎ š• =d&r " أمر الله نوحا أن يحمل فيها أهله وهم أهـــل بيته وقرابته ممن كان على دينه، أما من لم يؤمن فليس من أهله وهم زوجته وابنه. A$%r * â

---

(١) سورة نوح: ٢٥ – ٢٨.

(٢) سورة نوح: ٢٣.

(٣) سورة هود: ٣٦ – ٤٠.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٥٨٠).

8 öB 'Î ÓÎgÎ " ì¤B ' Ér ÇÍÈ ìïm§ Öqßó9 'Îr bÎ $g8™ëär $g1¤¢ ‹ ¤ÉóÎ $kŽÜ ¶qÇŸ2 ö¤$
ûïíŸ»3¤¤ì B `¤? Ÿwr $YèB = Ÿ2 ö¤$Ó_ç ƒ ÆÌèB 'Î š c ¼Ÿ2 r ¼ç¥¤¤ÿqÇ3 Š$Rr Æ$6É ¤¤.
`B žvÎ ‹ ¤ì¤& ôB Pö‹¤¤LÆ$ã Ÿw A$% ä¤J¤¤šÆ B ÓÍ_ÃA è ƒ @6_ 4‹Î ü í$«™ A$% ÇÍÈ
â¤J ¡ »ƒr Bä$B ÓÉ=¤¤ú Ö»ƒ Ÿ¤Šr ÇÎÈ šú üŸ•ó¤¤`B šc ¼3ù ¤ qJ¤¤Jå¡•/ A¼nr Oïm§
ÇÍÈ ûüÜÎ»@9¤ÒQö) ü #%è¿Ÿ¤Šr ä Šqè¤$'?ã ÑqFÕ¤ ê¤F $ÓÃÕèr â¤J¤¤ Ù ‹î r ÓÉ=¤
ÇÍÈ ûüÜÅ»t¤¤Ã3ô& MR&r ', s¤¤8‰ãr bÎr 'Íe& ôB ÓÍ_¤¤bÎ _U ' A$)ù ¼ç/§ÓÿqÇ3 Š$Rr
þõ Ñüe ¾ìÎ 7 9 § ¤¤ $B Çù«ó ¤ Ÿx ù ¤xî» ¹ ¿öî @Hå ¼çÑ š• îe& ôB § ¤¤ ¼çÑ ÑqÃƒ A$%
ÑÜÃ ¾ìÎ 'í § ¤¤ $B š• =«Ð% Þ& š• Î ê qã& þõ É ' A$% ÇÍÈ ûüÎg» f ¤¤ `B bqã? b& 7 ¤ÃÃ&
7 øã ¤¤».•/r $ZB Ð»= ¡ Î ÝÎe ¤¤ÑqÃƒ Ÿ@‹% ÇÍÈ `ƒÎÅ» , ¤¤ `B `à2 & ÓÍ_ðmë?r 'íëÿó? žvÎr
ä¤7Ñ& ôB š• ü ÇÍÑÈ Ò¤¤% ë #‹ ã $ZB OÇ¡ Jƒ ¤ê ÑÇÃÑJÃ™ ÜB é š• èB ` ¤B Ð BÉ#?ãr
p6É»è¤¤bÎ ÃÉ ¤¤u #‹»d è6% `B 7 ¤ãq% Ÿwr MR& $gÇ=è? MZä $B 7 øÎ $kŽmqÇÉ= ø¤¤
.(١) á ÇÍÈ šú üÉ F Çü

. " 'íe& ôB ÓÍ_¤¤bÎ _U ' A$)ù ¼ç/§ÓqÇ3 Š$Rr "

وهذا سؤال استعلام وكشف من نوح _عليه السلام_ عن حال ولده الذي غرق(٢) " ', s¤¤8‰ãr bÎr 'íe& ôB ÓÍ_¤¤bÎ _U ' A$)ù " الذي لا خلف له وأنت أحكم الحاكمين بالحق فاحكم لي بأن تفي لي بما وعدتني من أن تنجي لي أهلي وترجع إليّ ابني(٣).

. " ¤xî» ¹ ¿öî @Hå ¼çÑ š• îe& ôB § ¤¤ ¼çÑ "

قال سبحانه لنوح _عليه السلام_ إن هذا الابن ليس من أهلك الـــذين وعـــدتك بإنجائهم؛ لأنه لم يؤمن بالله ورسوله(٤)، فهو ليس معهم أصلاً؛ لأن مدار الأهلية هو القرابة

---

(١) سورة هود: ٤١ – ٤٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٥٨٣) .

(٣) تفسير ابن جرير (٧/٤٩) .

(٤) انظر: تفسير ابن جرير (٧/٤٩ – ٥٠) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٥٨٣) .

الدينية، ولا علاقة بين المؤمن والكافر، وليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء[1].

ولا يعني هذا أنه ليس ابنه في الحقيقة والصلب، وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذه الآية إلى أنه ليس بابنه على الحقيقة.

قال ابن جرير – رحمه الله – "إن أولى الأقوال هو أنه ابنه؛ لأن الله تعالى ذكره، وقد أخبر نبيه محمداً r أنه ابنه فقال " ¼çµ¯ÏΒÏ™!$yϑ¡¡9 Š$Rr " وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر" [2].

قال ابن كثير: وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه[3].

قال الفخر الرازي: والدليل عليه أن الله تعالى نص عليه فقال: "¼çµ¯ÏΒÏ™!$yϑ¡¡9 Š$Rr" ونوح أيضاً نص عليه فقال يا بني[4].

" ûüÏ!#ŸÒ» f øŒ$#Ï bqãΖ? b& 7 ×Ï!$ŸÒ& þÎ) " أي إني أعظك وعظاً تكون به من الكاملين، وتنجوا به من صفات الجاهلين، فحينئذ ندم نوح عليه السلام ندامة شديدة على ما صدر منه، وقال: ' Aρ$% â ‘ É=≈ƒ$ŸÒ& þÎ) ÏΘ$ŸÒ& š• =«ø‹ŸÒ& šÏ ¹$B š• §ø‹Ï ' ¼çµ¯ΡÎ) ÏΘ$ŸÒ& ÷ρr ÖÚ$ŸÒ& ¼çµ¯ΡÎ) ' .

فبالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين، ودل هذا على أن نوحاً - عليه السلام – لم يكن عنده علم بأن سؤاله لربه في نجاة ابنه محرم داخل في قوله: " ×ÏŠr " بل تعارض عنده الأمران وظن دخوله في قوله " bqè=ÏG» Nåκ ®Ξ) ¨βÎ) ©!$# ¨≅ÏΒ ûüÏ!$ŸÒ& ÎÅ¡øÿ¨Β " وبعد ذلك تبين له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم والمراجعة فيهم[5].

---

(١) تفسير أبي السعود (٣/٣١٧) .

(٢) تفسير ابن جرير (٧/٥٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٥٨٤) .

(٤) التفسير الكبير (١٧/١٨٤) دار الكتب العلمية .

(٥) تفسير السعدي، ٣٨٢ – ٣٨٣.

قال الابن المعاند لأبيه " "ä$J¼ŠÆ Ë Ó[ÃèƒQ6_ 4<Î ü Ý$«™ " أي سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء فيمنعني منه أن يغرقني[1].

وهذا يدل على أنه كان متمادياً في الكفر، مصراً عليه مكذباً لأبيه، فيما أخبر عنه ولكن نوحاً _عليه السلام _ قال له: " «ÝÈ$ãŠ¼ Ë Pq<¼LÆ$ã Ÿ " أي لا مانع من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمنا فأنقذنا منه فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم[2].

'?ã ÑqFŸ$ ëÐF$ÓÐèr â$J¼Š Ù <Î r ÓÉ=Ú â$J ¡»ƒr Ë ä$B ÓÉ=Ú$ÞÚ ö'»ƒ Ÿ@Š¼r â

á ÇÍÈ ûüÏÎ»Q9$ÒQ) ÿ #%èÇ Ÿ@Š¼r Ä Šqè¼$[3].

يخبر تعالى أنه لما أغرق أهل الأرض كلهم إلا أصحاب السفينة أمر الأرض أن تبلغ ماءها، وقوله (ÓÉ=Ú): انشفي، فأمرها أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليه، وأمر السماء أن تقلع وتمسك عن المطر، (â$J¼Š Ù <Î r) أي: نقص (ëÐF$ÓÐèr) أي فرغ من أهل الأرض قاطبة ممن كفر بالله لم يبق منهم ديار (NqFŸ$) أي استقرت السفينة على الجودي من أرض الجزيرة فأبقاها الله عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت رماداً[4].

(Ä Šqè¼$): جبل بالجزيرة بقرب الموصل[5].

وفي قوله: (ëÐF$ÓÐèr â$J¼Š Ù <Î r ÓÉ=Ú â$J ¡»ƒr Ë ä$B ÓÉ=Ú$ÞÚ ö'»ƒ Ÿ@Š¼r).

نداء موجه للأرض وللسماء نزلت منزلة من يخاطب ويفعل بإرادته وهو في الحقيقة أمر من أوامر التكوين الرباني الذي لا يستطيع مأمور به معصية الآمر؛ لأنه صادر عن الرب الخالق

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/٤٥) .

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) سورة هود: ٤٤.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٥٨٢) انظر روح المعاني (٧/٨٤ – ٨٥) .

(٥) انظر تفسير ابن جرير (٧/٤٥).

الذي هو على كل شيء قدير وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون[١].

( ) بالبناء لما لم يسم فاعله والقائل هو الله.

.[٢]

يخبر تعالى عما قيل لنوح _عليه السلام_ حين رست السفينة على الجودي من السلام عليه وعلى من معه من المؤمنين، وعلى كل مؤمن من ذريته يوم القيامة[٣].

( ) أي سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم وهم الكافرون وأهل الشقاوة[٤].

.[٥]

وهذه من الأخبار الغيبية التي لم يكن محمد ﷺ ولا أصحابه يعلمونها من قبل نزول القرآن[٦]، اصبر يا محمد صلى الله عليه وسلم على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من أذى العرب الكفار كما صبر نوح _عليه السلام _ على أذى قومه فاصبر فإن العاقبة الطيبة دائماً للمؤمنين[٧].

وقد صدق الله وعده، ونصر رسوله محمداً ﷺ على أعدائه، كما نصر نوحا من قبل، وهذا من أعظم الأدلة على أن القرآن وحي إلهي، وأن بعثة محمد عليه الصلاة والسلام حق وصدق؛ لأن الله أخبر عن أمور غيبية ستحصل وقد حصلت فعلاً ولا يعلم الغيب إلا الله[٨].

---

(١) نوح عليه السلام للميداني، ١٢٤ – ١٢٥.

(٢) سورة هود: ٤٨.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٣٨٦) .

(٤) تفسير البغوي (٢/٣٨٧) .

(٥) سورة هود: ٤٩.

(٦) انظر: تفسير البغوي (٢/٣٨٧) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٤٩) .

(٨) مع الأنبياء في القرآن، لعفيف طبارة ٧٣.

المبحث الثالث

دعوة إبراهيم - عليه السلام -

قومه إلى عبودية اللّه

المبحث الثالث

"دعوة إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبودية الله"

إن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده، فمن عبد الله وحده لم يشرك به شيئا فقد وحده، ومن عبد من دونه شيئا فهو مشرك به ليس بموحِد له الدين[١].

فالله سبحانه لم يبعث الرسل للدعوة إلى مجرد الإيمان بالله وأنه خالقهم إذ هم مقرون بذلك تناسقا مع الفطرة التي فطرهم الله عليها، ولم تكن قضية وجود الله في يوم من الأيام هي القضية التي يقف الناس عندها إلا في فترات قليلة، ولظروف خاصة عند بعض الأقوام الذين عُرِف عنهم الإلحاد، وحاولوا أن يجدوا له فلسفة خاصة تبريراً لانحرافهم وفساد فطرهم[٢].

ولذا تحدث الله تعالى عن قوم إبراهيم – عليه السلام – تعجبهم من دعوة نبيهم أبي الأنبياء إلى التوحيد وعبادة الله وحده، ومن ذلك والده الذي لم يكن على ملة التوحيد [٣]á ÇíÏÈ $ÞîB 'îöäí ed$ 7 ZHäÐÖ¥ ïnG^? ÖÐ©ûÈ Ëäü°•ðî»ƒ ÓÉgÏ#ä ôã MR& ë÷ Ïî#'& A$% â.

ولقد مرت دعوة إبراهيم الخليل في دعوته للتوحيد ولعبودية الله بمرحلتين بارزتين:

المرحلة الأولى:

دعوته إلى الله في موطنه الأصلي في بلاد العراق، حيث تعرض لنا آيات القرآن مشاهد ولقطات من دعوته لأبيه، ثم دعوته لقومه، ثم دعوته للملك الظالم ولما لم يستجيبوا له حطم أصنامهم التي يعبدونها من دون الله، فانتقموا منه وأرادوا إحراقه بالنار، ولكن الله أنجاه من النار، ولما كان في علم الله الأزلي أن قوم إبراهيم عليه السلام لم ينصاعوا لأمره، وجهه الله إلى الخروج من العراق إلى بلاد آخر[٤].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤٧٨/١) .

(٢) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ٣٠٥ لعثمان جمعه ضميرية.

(٣) سورة مريم: ٤٦.

(٤) القصص القرآني، لصلاح الخالدي (٣١٦/١) .

المرحلة الثانية:

دعوته إلى الله في الأرض المباركة فلسطين، حيث هاجر إليها قادماً من العراق وصحبه في هجرته نبي الله لوط عليه السلام، ومن ثم ذهب مع زوجه سارة إلى مصر، ودعوقما منها ومعهما هاجر... الخ القضايا التي حصلت لإبراهيم – عليه السلام – من حيث ذهابه لبلاد الحجاز وبنائه للكعبة[١].

وسوف أتناول دعوة إبراهيم عليه السلام قومه على هيئة مسائل:

المسألة الأولى: دعوة إبراهيم – عليه السلام – والده

كان آزر يعبد الأصنام بل كان ممن ينحتها ويبيعها، فهو أعلم القوم بعمل الأصنام؛ ولهذا كانوا يشترون منه الأصنام لا من غيره، فكان لزاماً على إبراهيم – عليه السلام – أن يبدأ دعوته بأقرب الناس إليه، وألصقهم به، وأولاهم بالهداية، وأجدرهم بإخلاص النصيحة، فمن البر به أن يهديه سواء السبيل، لاسيما وأنه من أبرز الناحتين لها والداعين إلى عبادقا[٢]، فتأمل كيف كان إبراهيم عليه السلام من أبرز الداعيين إلى عبودية الله! ووالده من أبرز الداعيين إلى عبودية غير الله قال عز سلطانه: $ZÏ¼bï¹ b¾. ¼çRÎ LìÏd°•ð É»GÆ¢¢'Î ëëÆ¢r â ÏM/'»ƒ ÇÍÈ $¼ø© 7ÝÃ ÓÍ¿øÃ¼r ÞÇÃ¢Ã¼r ßJóƒ ¼w $B ¾¢çè? Nº ÏM/'»ƒ ï‹ÎL{ A$% ¢ð ÇÍÈ $ÃÎR ¾¢çè? ¼w ÏM/'»ƒ ÇÍÈ $ÃÇ™ $ÛÞÂ 8¾«& ÓÍèÎ?$ 7ÎÇƒ Ñ9 $B É¢¢¢ŠÆ Ð 'Îä¼` ¢% 'Îð `Ð Ò#‹ã 7¡¡ Jƒ b& Ñ$¾{& þÎð ÏM/'»ƒ ÇÍÈ $¼Ã ã Ç»Hq§º b¾. `»Üø¤9$Î ð `»Üø¤9$ ïnG^? ó©ûÈ ãÐ°•ð»ƒ ÓÉgº#ä ôã MR& ë¬Îï#'& A$% ÇÍÈ $¼¼r Ç»Üø¤º bqãGù Ç»Hq§$ ÇÍÈ $ÃÝm 'Îšc ¾. ¼çRÎ þÎí 79 ëýøGÐ'™ 7øã Ñ»™ A$% ÇÍÈ $ÃÎB 'Îëã¤ë§ 7ZHãÐÝ $Ã¤ù ÇÍÑÈ $ÃÉ© 'Îí ãÐ¤ëÎ bqä&wr& é¤ã 'Îí {qã§r «¦ $ÈÉrß `Ð šc qãß? $Br ÑãÃÐlã&r .[٣] á ÇÍÑÈ $¼ÎR $Zëè_ yxär >qàèƒr ,»sÖÎ ¼Ã $Ycdr «¦ $ÈÉrß `Ð brß?èƒ $Br ÑÇ"lã$

---

(١) القصص القرآني، لصلاح الخالدي (٣١٦/١) .

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٥١/٢) قصص القرآن، محمد جاد المولى ٣٩.

(٣) تفسير أبي السعود (٢٤٣/٤) .

لقد بدأ إبراهيم – عليه السلام - حواره مع والده بقول (لم تعبد من دون الله) لقد طلب منه بيان العلة في عبادته هذه المعبودات، "ولكنه سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل، واحتج بحسن أدب وخلق جميل؛ لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد، حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل"(١) .

فهو هنا بيّن له أن عبادة غير الله من الأصنام وغيرها لا تنفع ولا تضر؛ لأنها لا تسمع ولا تبصر كما حذره من عبودية الشيطان وطاعته؛ لأنها سبب للخسران.

ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق؛ ولكنه قال: إن معي شيئا من العلم ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه، ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه أوقعك في عبادة الصنم وزينها لك، فأنت عابده في الحقيقة.

ثم ربع بتخويفه العاقبة، وما يجره ما هو فيه من التبعية والويل مع مراعاة الأدب، حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به، وأن العذاب لاصق به، بل قال: " 7 ii Jƒ b& ß$ %{& " بالتنكير المشعر بالتقليل..... وصدَّر كل نصيحة بقوله (يا أبت) توسلاً إليه واستعطافاً واشعاراً بوجوب احترام الأب وإن كان كافراً(١).

ثم بعد هذا البيان ماذا كان قول والده له – عليه الصلاة والسلام- قال الأب لابنه" &'#ïî ëæ& MR& ôã äï#Ïgé ó" أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر، وغلظة العناد فناداه باسمه و لم يقابل (يا أبت) بيا ابني، وقدم الخبر على المبتدأ في قول" &'#ïî ëæ& MR& ôã äï#Ïgé ó»ƒ¯ ·ð°Ù " لأنه كان أهمّ عنده، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد، وفي هذا سلوان وثلج لصدر محمد r كما كان يلقي مثل ذلك من كفار قومه(٢).

---

(١) تفسير النسفي ٦٧٥ بتصرف يسير .

(٢) الكشاف ٦٣٨.

قال والده: لئن لم تنته عن زيغك وترجع عن غيك وتثـب إلى رشـد لأرجمنـك بالحجارة، ولأرمينك بهجر القول، فاحذر سَوْرَة غضبي وتجنب إثارة سخطي واهجرني مليا أي دهراً طويلاً، فليس لك في داري مكان، ولن تجد في قلبي أثارة من عطف أو بقية مـن إحسان [١]، لكن إبراهيم – عليه السلام - لم يفقد حلمه ورحابة صدره ورزانة عقله لكنه قال: " $|ÿm 'Î šc ‰. ¼qR]bñ 7 9 äÿø Gó™'™ 7 øã Ñ»=™ " سلام توديع ومتاركـة أو تقريب وملاطفة[٢]؛ ولذا وعده بالاستغفار أي سأسأل الله لك الهداية إنه سبحانه " šc ‰. " $|ÿm 'Î " أي براً لطيفا، لا يتخلى عن عبده وخليله طالما أنه ملازم لعتبة العبودية مستمر في سير الدعوة إلى الصلاح والإرشاد، ولم تكن هذه هي الآيات التي تحدثت عن إنكار إبراهيم عليه السلام على أبيه بل هناك آيات أخرى نذكر منها على سبيل المثال: قوله تعالى: ø)Îr â

A$% ø)Ï°•¨Šð ĪŠÎ‰ä#–' ‰?G ,Ï ãä ‰ ZŠ$B $ä#gþ]þb ‰' 1 7 r‰qBö 7 Î' Ê|=»®ø BÎ¤ü& ÈÌÍÇ á[٣].

ومنها قوله تعالى: â r#ø@ø æš¤ŠġŠ R7' ø)Ï°•¨ŠO ÈÏÎÇ ø)Ï %$A }Ï‹>ŠÏ r‰qBĪŠÏ ¾ÏŠB$?šèR%r ÈÐÎÇ á[٤].

ومنها قوله تعالى: â * r9)@ ä#?•Y$ ø)Ï°•¨ŠÌ Làâ©™‰q¼ Ë` %©¤© ‰ä$Z ¾ÏŠÎ ãÎ»Ïšû ÈÊÎÇ ø)Ï %$A ŠÏÎÏ

r‰qBĪŠÏ ¾ÏŠB$ d»É¤ŠÏ$#9J6Ï$#Ÿ9$#©$ÉÈ ŠÏRŠqŠ ;I$ ä»Ŵãqb ÈÎÎÇ á[٥].

ولما كان نهاية حوار إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه لم تثمر دعوته معـه، وأصـر على عناده وغيه، وآثر الضلال على الهدى، تبرأ إبراهيم – عليه السلام - منه قال سـبحانه â r¡B$. ‰ cš$ Ó™Gøÿy$ ø)Ï°•¨ŠO ¤Ï‹Š)]w£ ã` Bqä‰%äã r‰d$]¤y$ qB ù-ä$?7Îu ûâ ä%¼qR' ãä A!

?©¤& BZqB]b ø)Ï°•¨ŠO Vy•ǐâ Èm©Ì ÈÍÊÊÇ á[٦].

(١) قصص الأنبياء، محمد جاد المولى ٤٠

(٢) انظر: الكشاف ٣٩.

(٣) سورة الأنعام: ٧٤.

(٤) الشعراء: ٦٩ – ٧٠.

(٥) سورة الأنبياء: ٥١ – ٥٢.

(٦) سورة التوبة: ١١٤.

المسألة الثانية: دعوة إبراهيم – عليه السلام – قومه إلى عبودية الله جلّ وعلا.

أشارت آيات في بعض السور إلى هذه المحطة في دعوته منها سورة الأنعام والأنبياء، والشعراء والعنكبوت، والصافات.

قـــال ســـبحانه: 7 1'& þõ) þgÿ#ä BZð & äï, 6?& '–#ä ïŠî[Ð Šüº•ß) A$% ø ßr * â

`Ï bqã<ÿr Çí öF{$ Ïºq»J¡¡ 9$Nqã=B OŠüº•ß) ü' ÿ ÷ç š• ÿº< . r ÇÐÍÈ &üî Ï 9 »=Ê 'î 7 Bö%r

⇐ïmé‹w A$% ø ù& $Ð=ù 'îí #‹»d A$% $Ÿ. ö. #ä' @ø Ïmøã £ _ $Ð=ù ÇÐÍÈ ûüÏ‰qã 9$

'îí 'î‰õ ïŸ©ûÉ A$% ø ù& $Ð=ù 'îí #‹»d A$% $Ζî-$/ •J) Ï#ä' $Ð=ù ÇÐÍÈ šú üî ÏF$

ž9ò2 &#‹»d 'îí #‹»d A$% ø Ζî-$/ § ð±9$#ä' $Ð=ù ÇÐÈ û,Ï Ò9$ÏQö) Ï `Ï žú ðqà2 Ÿ

Å/ º q»J¡¡ 9$•Üù " ï Ï 9 ' îgô_ r ïMîg§_ r 'îí ÇÐÈ bqäîõ ê$Ð ïõ ÷/ 'îí É ö) »ƒ A$% ïM=ù& $Ð=ù

.[1] á ÇÐÈ šú üî îõ ã9$Æ Ï ïD& $Br $ Ζ‹Ïm š ß öF{$

وقد احتج إبراهيم – عليه السلام – في هذه الآية على بطلان عبـــادة قومـــه للكواكـــب السيارة.

ووجه الاستدلال بالأفول على عدم استحقاق الإلهية:

١/ أن الأفول مغيب وابتعاد عن الناس، وشأن الإله أن يكون دائم المراقبة لتدبير عباده، فلما أفل النجم كان في حالة أفوله محجوبا عن الاطلاع على الناس وقد بنى هذا الاستدلال على ما هو شائع عند القوم من كون أفول النجم مغيبا عن هذا العالم، يعني أن ما يغيب لا يستحق أن يتخذ إلها؛ لأنه لا يغني عن عباده فيما يحتاجونه حين مغيبه[2].

٢/ أن العاقل السليم الفطرة والذوق لا يختار لنفسه حب شيء يغيب عنه ويوحـــشه فقـــد جماله وكماله، حتى في الحب الذي هو دون حب العبادة فكيف بحب العبادة الذي هو أعلى الحب وأكمله؟ فإنه لا يجوز أن يكون إلا للرب الحاضر القريب السميع، البـــصير،

---

(١) سورة الأنعام: ٧٤ – ٧٩.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣/٣٢٠ – ٣٢١).

الرقيب، الذي لا يغيب ولا يأفل ولا ينسى ولا يذهل، الظاهر في كل شيء بآياته، وتجليه الباطن في كل شيء بحكمته ولطفه الخفي منه[1].

٣/ كما أن إبراهيم – عليه السلام – لم يكن يعني من قوله (هذا ربي) أنه رب العالمين على أي وجه قاله، وكذلك قومه لم يعتقدوا هذا إنما قاله على وجه التنزل مع الخصم، أي (هذا ربي) فهلم ننظر هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه بغير حجة ولا برهان " ù=ß$ ¿ù&@" أي: غاب ذلك الكوكب قال لا أحب الآفلين "أي الذي يغيب ويختفي عمن عبده فإن المعبود، لابد أن يكون قائماً بمصالح من عبده ومدبراً له في جميع شؤونه، فأما الذي يمضي وقتا كثيرا وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة ؟ وهل اتخاذه إلهاً إلا من أسفه السفه وأبطل الباطل؟[2].

٤/ لما رأى بزوغ القمر والشمس ثم أفولها أعلن تبرأه مما يشركون به، حيث قام البرهان الصادق الواضح على بطلانه[3]" (’n?tã ÈqôÒxî ÈqôÒxî ‘ Ïm÷ƒy‰Ï “ ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒÏ‰÷ƒF{$# ÂV ºqs)ÏJ¯R 9$#•Ïù ß‰ƒÌãƒ " وصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك، والأفول والطلوع كلاهما دليل على الحدوث؛ لأنه انتقال من حال إلى حال ولكنه ركز على الاستدلال بالأفول؛ لأنه أظهر في الدلالة على عجز هذه المعبودات وذهاب نفعها؛ لأنه انتقال مع اختفاء واحتجاب عن عُبَّادها[4].

قال بن كثير – رحمه الله - :

"والذي يظهر أن إبراهيم – عليه السلام – لم يكن ناظراً يبحث عن الحقيقة ويناشدها، وإنما كان مناظراً لقومه، يريد إقامة الحجة عليهم مع اطمئنان قلبه ومعرفته بربه ليردهم إلى توحيد الله تعالى، ويصرفهم عن عبادة غيره، وأنه كان مخاطباً لهم بهذه المحاورة، وكانوا منصتين له أولاً وهو يستعرض كواكبهم التي يعبدونها فبين لهم أنها لا تصلح أن

---

(١) تفسير المنار (٧/٥٥٨) .

(٢) تفسير السعدي ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/١٤) .

تكون آلهة تعبد من دون الله، ويدل عليه قوله مخاطباً لهم بقوله " bqäÎ3Ê$ÆÈ ûüÏ/ 'Îí " وقوله (وحاجه قومه قال أتحاجوني)[1].

المسألة الثالثة: دعوة إبراهيم – عليه السلام – قومه عُبَّاد الأصنام التي اتخذوها من دون الله.

قال تعـــالى: A$% ßÎ ÇÎÈ ûüÏÎ»ã ¾ÍÎ $Zär ãß% `Ï ¼ç‰©âLìÏ°•Î $Y•?#ä ß)9r * â

$I; $Rä$/#ä $Rß ` r {qè% ÇÎÈ bqàÅ»ã $I; ÓÉR& ÓÉ$ã@Š0$JG9$ÍÉ»d $B ¾ÍÏÏ°r ÍŠÎ[

Q& Ètø$Î $ZK¥Å & {qè% ÇÍÈ &ÚÎÏ @»=Ê 'Î Nà2 è$/#är ÓÉR& ÓÉZä ß)9 A$% ÇÎÈ šú ï‰Î»ã

/ãÏ°E 4?ã $B&r Æ è•Ü “ ï‰G$ÇJ öF$ Ï°q»Kj¡ 9$•> ‘ ßãŠ$ @/ A$% ÇÎÈ ûüÎè»=9$`Ï MR&

#Ç°‹ã ÓG=è f ù ÇÐÈ ûïÍÎß ã {q9qêb& ‰è/ /ãJ»ZÎ & Ïb‰‹Å2 Ï(«! $Îr ÇÎÈ šú ï‰ç»±9$`Ï

`Ï9 ¼çRÎ $Y6gÏ$«Í # ‹»d Ïè ` B {qè% ÇÎÑÈ šc qãÅ_ef ïøÎ ÓG=è9 Nç,#ŽÎÝ2 ïvÎ

èãã& #?ã ¾ÍÎ {qêù {qè% ÇÏÈ ãÏ°•Î ¥Ïã $)ãNèãã ƒ ÓÌù $Yè™ {qè% ÇÎÈ šú ïÏÎ=ç9$

¼ãèù @/ A$% ÇÏÈ Ð$Ï°•Î ƒ $ZÏÍ|$«Í # ‹»d Mèù MR&ä {qè% ÇÏÈ šc rß gã„ NG=è9 Ä $Z9$

Nãß Î {qè) ù ÓÅãR& #‹Î {qè_•ù ÇÍÈ šc qàÜZƒ {qç Ÿ2 bÎ Nèqè ù #‹»d Nèç Ÿ2

A$% ÇÍÈ šc qàÜZƒ äwè»d $B Mõ=ã ß)9 ÓÅrâã4?ã {qÝÅç$ÊÇÍÈ bqÎ=ç9$Ð ÉR&

šc rßè? $JÏr ãÇÊ$ÉÇÍÈ Nžß ƒ Ïr $‹©Nà6 ãÝZƒ Ïr $B «! $Âc rß ` Ï šc rßè Gù&

ÇÍÑÈ šú ïÎ»ù Ÿêà2 bÎ Nãgï#ä {qÝÇ R$r çèm {qè% ÇÏÈ šc qè? Ÿù& «! $Ërß ` Ï

ÇÐÈ šú ïÎ£=r{ $ãG»Ÿè f ù #‰ä ¾ÍÎ {rß#‘&r ÇÏÈ OŠÏ°•Î #?ã $J»=™r #Ÿ/ 'Îqä â$Z»ƒ $Zè

.[2] á šú üÏ=»è Ï $kŽÏ $Zø•»/ ÓÉ$ÇJ öF$’‹Î $ÛqãÏr ç Ÿ¡ÇUr

يتضح من خلال هذه الآيات أن إبراهيم بدأ كلامه مع قومه بالـــدعوة واســـتخدام منطق الإقناع العقلي، وخاطب قلوبهم وعقولهم وفطرهم وأرواحهم خطاباً دعويـــاً عقليـــاً

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٢/١٥٢).

(٢) سورة الأنبياء: ٥١ – ٧١.

مقنعاً[1]، في قوله: " ..á ÇÎÈ br ? â " إنه يستنكر عكوفهم ولزومهم لهذه التماثيل، وفي هذه التسمية ما يدل على حقارة شأنها، ثم لا يجد القوم ما يجيبون به عن أحقية هذه التماثيل بعبادتهم وعكوفهم، ولكنهم يتهربون من الإجابة، مدعين أنهم إنما قلدوا في عبادتها والعكوف لها آباءهم دون أن يكون لهم نظر مستقل في شأنها، ويجيبهم إبراهيم – عليه السلام – أنهم هم وآباؤهم مستغرقون في الضلال منغمسون فيه، ثم يردون عليه " " ويجيبهم جواب الداعية الواثق من دعوته الذي لا ينتقم لنفسه، لكن همه أن يبلغ عقيدته ورسالته، ويبين لهم حقيقة الواحد الفرد الصمد المستحق للألوهية والعبودية.

ثم أقسم بالله، وأعلن ذلك أمامهم أنه اعتزم على الكيد لهذه الأصنام، وقد وضع لهذه الفكرة خطة مدروسة دقيقة، وهو يوم عيدهم حيث لا يوجد أحد يعبد آلهتهم المزعومة، واعتذر عن الذهاب معهم â ليبقى وحيداً لتنفيذ هذه الخطة وعندها قام بتحطيم أصنامهم واحداً تلو الآخر إلا كبيرهم فقد تركه؛ لأجل أن يسألوه إن رجعوا إليه عن الذي أقدم على تكسيرها، وسيجدونها لا تفهم خطابا ولا ترد جواباً فيعلمون يقيناً أنها لو كانت تنفع لدافعت عن نفسها، بل كبيرهم لم يستطع الدفاع عنها وهذا ما كان يرجوه إبراهيم[2] - عليه السلام - ولذا قال سبحانه: " " أي فيرجعون إلى الكبير فيسألونه عن الكاسر؛ لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في الملمات، وقيل يرجعون إلى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عند دفع ما يصيبهم وعن الإضرار بمن كسرهم[3].

فلما عاد القوم من احتفالهم دهشوا لما أصاب هذه الأصنام عندما وجدوا أحجاراً وأخشاباً في غاية التحطيم، وأخذوا يسألون عمن قام بهذه المهمة، عندها تذكروا تهديد إبراهيم – عليه السلام – لهم، فقرروا محاكمته عليه الصلاة والسلام – ووصفوه بالظلم فهو في نظرهم ظالم لهذه الآلهة التي حطمها وظالم لعابديها؛ لأنه اعتدى على آلهتهم " "

(١) القصص القرآني، للخالدي (٣٤٢/١) .

(٢) حوار الأنبياء، ٢٢٨.

(٣) تفسير أبي السعود (٣٤٥/٤) .

" ãÜÙ°ðÎ ¥Ø Ã$) ãÑÙèãõƒ ÓÙù $¥èÜ™ — عليه السلام - فلما تحققوا أنه إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون " Ð Š Ü°ð»ƒ $ZÜÎ$«Î #‹»d Mèù MR&ä (þ%" .

" šc rßgÊ„ ÑÜ=è9 " أي يحضرون ما يصنع بمن كسر آلهتهم وهذا الذي أراد إبراهيم – عليه السلام - وقصد أن يكون بيان الحق بمشهد من الناس؛ ليشاهدوا الحق وتقوم عليهم الحجة فحين حضر الناس فأحضروا إبراهيم – عليه السلام - قالوا له: " MR&ä " وهذا الكلام من إبراهيم – عليه السلام – القصد منه إلزام الخصم وإقامة الحجة عليه، ولهذا قال: " bÎ ÑèqèóÙ " أي الأصنام المكسرة اسألوها لم كسرت؟ والصنم الذي لم يكسر اسألوه لأي شيء كسرها؟ إن كان عندهم نطق فسيجيبونكم إلى ذلك، وأنا وأنتم وكل أحد يدري أنها لا تنطق ولا تتكلم ولا تنفع ولا تضر، بل ولا تحمي نفسها ممن يريدها بأذى[1]. ولهذا اختار إبراهيم – عليه السلام – عبارة إن " šc qàÜZƒ (qß$Ÿ2 " دون غيرها من السمع أو العقل حتى تكون عدم القدرة على النطق أظهر، وتبكيتهم بذلك أدخل، وقد حصل حسبما نطق به وقوله "ÓÎÅà R& #‹Î (þã_•ù" فتذكروا وتدبروا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضره عن غيره أو جلب منفعة له، فكيف يستحق أن يكون معبوداً[2]؟ عندها شهدوا على أنفسهم بالظلم فلزمتهم الحجة بإقرارهم أن ما هم عليه باطل وأن فعلهم كفر وظلم، ثم نكسوا على رؤوسهم أي انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة[3]، فقالوا سخرية بإبراهيم _عليه السلام_ كيف تأمرنا أن نسألها وهي جمادات لا تنطق؟ فقال لهم إبراهيم _عليه السلام_ على سبيل التوبيخ " ŵr $¥æ© Ñà6 ãÝZƒ ŵ $B «‹ $Âc rß `Ï c rßçèGù& " فأخذ يبكتهم على جهلهم ويتأفف من

---

(١) تفسير السعدي: ٥٢٦.

(٢) تفسير أبي السعود (٣٤٦/٤) . روح المعاني للآلوسي (٤٨٣/٩) .

(٣) تفسير أبي السعود (٣٤٦/٤) .

ثباتهم على الباطل بعد وضوح الحق وهو يتغيظ من غفلتهم ومكابرتهم بعد انبلاج الصبح، ثم حضهم على الروية فيما ينطقون والتفكر فيما لا يدعون، ولما لم تبق لهم حجة أو شبهة، عدلوا عن الجدل والمناظرة وعمدوا إلى القوة يسترون بها هزيمتهم ويخُفون باطلهم[1]. â %qæ

á ÇÏÈ šú üîé»ù Lêzà2 bî Ïa Ggï#ä ïyÇÇ Rs qqèm[2].

المسألة الرابعة: إلقاء إبراهيم – عليه السلام – في النار.

شرعوا يجمعون حطبا من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له ثم عمدوا إلى حوية[3] عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب، وأطلقوا فيه النار فاضطرمت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم – عليه السلام – في كفة المنجنيق، ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، فلما وضع الخليل – عليه السلام – في كفة المنجنيق مقيداً مكتوفاً، ثم ألقوه منه إلى النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل[4] كما روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال[5]: قالها إبراهيم – عليه السلام – حين ألقي في النار وقالها محمد r حين قيل له: Ña9 {qæK_ 6% ¨ $Z9$bî â¨ $Z9$ÑG9 A$% ûï¼6$â

«ï $`Ï 7JèÏÎ {qç-)R$ Ç:ÌÈ @‹Å2 q¤$Nèïr ª ï$$Z6q m {qæ%r $Z%Jƒî Ñè Š#“ù Ñèq±÷ z$

á ðpR Ñæ ¡ðƒ Ñ@@Ò ùr[6].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله r: (لما ألقي إبراهيم في النار قال[7]: اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك، فكفاه الله تعالى ووقاه

---

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ٩٣، قصص القرآن، لمحمد جاد المولى، ٤٦

(٢) سورة الأنبياء: ٦٨.

(٣) حويه أي: كساءُ يحوَّى حول نسام البعير ثم يركب لسان العرب (١٤/٢٠٩) .

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ٩٣ – ٩٤.

(٥) أخرجه البخاري (٤/١٦٦٣) برقم (٤٢٨٧) .

(٦) سورة آل عمران: ١٧٣ – ١٧٤ .

(٧) قال الدار قطني في العلل: رواه أبو جعفر الرازي عن عاصم عن ابي صالح عن أبي هريرة فذكره (١٠/٩٩) الطبعة الأولى (١٤٠٥) تحقيق محفوظ السلفي .

من أن تضره نار المشركين [1].

وفي آية أخرى [2] ولا مقارنة بين آلهة تحتاج وتفتقر إلى نصرة عُبَّادها، وإله واحد ينصر عبده ويؤيده بخوارق العادات فشتان بينهما[3].

قال بعض العلماء: جعل الله فيها برداً يرفع حرها، وحراً يرفع بردها، فصارت سلاماً عليه.

قال أبو العالية: ولو لم يقل " " لكان بردها أشد عليه من حرها ولو لم يقل " " لكان بردها باقياً إلى الأبد[4].

المسألة الخامسة: حوار إبراهيم – عليه السلام – مع الملك واستدلاله على قـــدرة الله في إحياء الموتى:

قال تعـــالى:

.[5]

يذكر تعالى مناظرة خليله – عليه السلام - مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعـــى لنفسه الألوهية والربوبية، فأبطل الخليل عليه دليله، وبين كثرة جهله وقلة عقله وألجمه الحجة وأوضح له طريق المحجة[6]، وهذه هي قضية من أكبر القضايا ففيه إنكار الإيمان باليوم الآخر

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٠ .

(٢) سورة الصافات: ٩٨ .

(٣) حوار الأنبياء على أقوامهم ٢٣٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٠٤/٦) .

(٥) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٦) قصص الأنبياء لابن كثير: ٩٦.

وادعاء الألوهية من دون الله، إن هذا الملك المتعنت إنما ينكر ويتعنت للسبب الذي كان ينبغي من أجله أن يؤمن ويشكر؛ هذا السبب هو " [illegible] " وجعل في يده السلطان، لقد كان ينبغي أن يشكر ويعترف لولا أن الملك يطغى ويبطر فهذا وأمثاله من لا يقدرون نعمة الله، ولا يدركون مصدر الإنعام، ومن ثم يضعون الكفر في موضع الشكر، ويضلون بالسبب الذي كان ينبغي أن يكونوا به مهتدين...، فنسب إبراهيم – عليه السلام- فعل الحياة والموت إلى الله لكن ذلك المحاج قال: أنا أحي وأميت و لم يقل: أنا الذي أحيي وأميت؛ لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصاً فيكون قد أماته، ويستبقي شخصاً فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم – عليه السلام - يغالط في مجادلته، ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلاً عن كونه حجة، اطرد معه في الدليل فقال إبراهيم – عليه السلام -: " [illegible] " أي عياناً يُقِرّبه كل أحد حتى ذلك الكافر ".

وهذا إلزام له بطرد دليله، إن كان صادقاً في دعواه فلما قال له أمراً لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحاً يقدح في سبيله " [illegible] " أي تحير فلم يرجع إليه جوابا وانقطعت حجته وسقطت شبهته وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه فإنه مغلوب مقهور(١).

فلذلك قال: " [illegible] ".

قال ابن القيم: – رحمه الله – "وفي هذه المناظرة نكتة لطيفة جداً، وهي أن شرك العالم إنما هو مستند إلى عبادة الكواكب والقبور، ثم صورت الأصنام على صورها ..... فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم – عليه السلام - إبطال إلهية من لا يصلح للألوهية تلك جملة بأن الله وحده هو الذي يحي ويميت ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته ولا بعد موته، فإن له ربا قادراً قاهراً متصرفاً فيه إحياء وإماته، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها؟ حتى يتخذ الصنم على صورته، ويعبد من دونه، وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس هذه الشمس وهي مربوبة مدبرة مسخرة، لا تصرف لها

(١) تفسير السعدي: ١١١.

في نفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها، فتنقاد لأمره ومشيئته فهي مربوبة مسخرة مدبرة لا إله يعبد من دون الله[١].

المسألة السادسة: المرحلة الثانية في حياة إبراهيم – عليه السلام – عندما غادر بلاد العراق وهاجر بأمر الله إلى الأرض المقدسة فلسطين.

قال تعالى: ¥ø $Zõdrr ÇÏÈ šú üÜ=»èÜ $kŽÜ $Zø•»/ ÓÉ$ÇJ öF{$'‹Î $ÙÛqãr ç»Yøg¯Ur â

$RÌBÎ šc r‰ö ÆÉ‹& ÙG»Zèè_r ÇÏÈ šú üÅî»¹ $Zèè_ yxär \#Ü$R >qàèfr ,»sÜÎ

á ÇÏÈ ûïÏ‰Î»ã $Y9 ¢qç.r ÍqÝ2 "9$ä$Ff)r Íq¢Á9$Q$%)r ÏN°Žö, ø$Ø@èÜ ÙÛgøÎ $ZÅm÷&r[٢].

وقال تعالى: عن حالة إبراهيم عليه السلام عندما لم يستجب له قومه ولا والده

ÇÍÈ $¢É© 'Îr äÌæ‰Î bqä& w& ¤ã 'Îr ¢qãš&r «!$ÈrŠ `Ïš c qãß? $Br ÙÅÁÍã&r â

ÇÍÈ $ŠÎR $Zèè_ yxär >qàèfr ,»sÜÎ ¯ø $¯Ødr «!$ÈrŠ `Ï brß‰çèf $Br ÙÇ"Ìã$$Ì=ù

á ÇÎÈ $ŠÎã A‰Ì¹ b$¡Ï ÙÇ $Zèè_r $ZÏH¢q§ `Ï MÇ $¯Ødrr[٣].

وقال الله أيضاً: â * $Ì«ù `B ¢qè‰9 ç¼ÇÎ bÎr 4<Î ÅÅ$gã 'Ï A$%r ÊqèÌ¼ç9 `B$«ù

$<R‰9$'Î ¼ç•ô& ç»Y<?#är =»GÅèè oÇ¯9$ÏÏf Ê 'Î $Zèè_r >qàèfr ,»sÜÎ ¯ø $¯Ødrr ÇÏÈ

á ÇÐÈ ûüÅÎ»Á9$`Ü9 Í•ÅÑ$'Î ¼ÇÎr[٤].

بعدما شعر أن لا فائدة من مكوثه في أرض العراق، فقد أسره الله بالهجرة فهاجر هو وزوجه سارة، ولوط عليه السلام حيث أخذوا يدعون إلى الله عز وجل ويقررون عقيدة التوحيدة، ثم قام إبراهيم – عليه السلام - بزيارة مصر فلما دخل إبراهيم - عليه السلام – مصر، وكان حاكمها رجل فاجر عرف بفجوره وغلبته على اغتصاب النساء، فعلم أن زوج إبراهيم – عليه السلام - سارة من أجمل النساء فعندها طلبها لنفسه، فأوحى الله إليه

---

(١) مفتاح دار السعادة: (٢/٢٠٥) بتصرف يسير.

(٢) سورة الأنبياء: ٧١ – ٧٣.

(٣) سورة مريم: ٤٨ – ٥٠.

(٤) العنكبوت ٢٦ – ٢٧.

بإرسالها وتسليمها وعليه أن يطمئن ولا يقلق فستكون في رعاية الله وحفظه، ولن ينال الملك منها شيئا، لقد عصم الله من فجور الملك وقدم لها كرامة بارزة، وقدم لذلك الفاجر آية على قوة الله وقدرته، حيث أنه لما أراد أن يمد يده إليها أول مرة قبضها الله وعطلها، فعجز الملك عن تحريكها أو التحكم فيها، فتعجب واستغرب؛ لأنها أول مرة تحصل معه طلب من سارة أن تدعوا ربها ليطلق يده ولن يؤذيها، ولما فعلت ذلك عاود الملك الكرة مرة ثانية، ثم نالته عند ذلك علم الملك أنه ممنوع من الوصول إليها، وأيقن بعجزه عن مسها، وأن هناك قوة أخرى تحفظها وتعصمها وتحميها منه، وهذا هو المراد من الحادثة، وهذه كانت إكرام لسارة من ذلك الملك حيث قدم لها خادمة لها وجارية عندها وهي هاجر وأعادها إلى إبراهيم – عليه السلام – معززة عفيفة مصونة، وكانت سارة لا تنجب ولا تلد فوهبت جاريتها جارية لزوجها تيسرى بها فحملت منه هاجر وولدت له بابنه إسماعيل.

ثم جاءت البشرى الأخرى بأن أنجبت سارة إسحاق[1].

(١) انظر: القصص القرآني للخالدي (١/٣٧٩ – ٣٨٠) .

المبحث الرابع

دعوة موسى – عليه السلام –

إلى عبودية اللّه

المبحث الرابع

دعوة موسى – عليه السلام – إلى عبودية الله[1]

بعد أن اختار الله موسى – عليه الصلاة السلام – نبيا رسولا، وكلمه في تلك الليلة المباركة في وادي طوى بجانب جبل الطور وأيده بآيتين برهانين على نبوته وهما اليد والعصا، شعر موسى عليه السلام بعظم المسئولية والحمل الثقيل الذي لابد أن يقوم به، أمره الله تعالى بتوصيل الدعوة إلى فرعون وملئه ومن ثم إلى بني إسرائيل.

قال تعالى: ÇÏÈ “ qêÙ Ä Ÿ‰)qßsÎ#qè=ÏÿxœqçRÌ$r& ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÍÈ ÉOøOÎ) qßgn=sù ÇÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÍÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÏÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÐÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÑÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÒÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÓÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÔÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÕÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÖÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇרÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÙÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÚÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÛÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÜÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÝÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇÞÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇßÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇàÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇáÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇâÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇãÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇäÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇåÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇæÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇçÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇèÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇéÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇêÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇëÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇìÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇíÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇîÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇïÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇðÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇñÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇòÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇóÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇôÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇõÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇöÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇøÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇùÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇúÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇûÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇüÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇýÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÇþÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÈÿÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÉÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÊÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉËÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÌÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÍÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÏÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÐÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÑÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÒÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÓÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÔÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÕÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÖÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù É×È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉØÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÙÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÚÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÛÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÜÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÝÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉÞÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉßÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉàÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉáÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉâÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉãÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉäÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉåÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉæÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉçÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉèÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉéÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉêÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉëÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉìÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉíÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉîÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉïÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉðÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉñÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉòÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉóÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉôÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉõÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉöÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù É÷È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉøÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉùÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉúÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉûÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉüÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉýÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÉþÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÿÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÉÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÊÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊËÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÌÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÍÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÏÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÐÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÑÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÒÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÓÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÔÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÕÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÖÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Ê×È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊØÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÙÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÚÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÛÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÜÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÝÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊÞÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊßÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊàÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊáÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊâÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊãÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊäÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊåÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊæÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊçÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊèÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊéÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊêÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊëÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊìÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊíÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊîÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊïÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊðÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊñÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊòÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊóÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊôÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊõÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊöÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Ê÷È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊøÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊùÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊúÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊûÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊüÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊýÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÊþÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÿÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÉÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÊÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËËÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÌÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÍÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÏÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÐÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÑÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÒÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÓÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÔÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÕÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÖÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Ë×È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËØÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÙÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÚÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÛÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÜÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÝÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËÞÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËßÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËàÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËáÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËâÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËãÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËäÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËåÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËæÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËçÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËèÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËéÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËêÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËëÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËìÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËíÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËîÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËïÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËðÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËñÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËòÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËóÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËôÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËõÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËöÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Ë÷È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËøÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËùÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËúÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËûÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËüÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËýÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ËþÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÿÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÉÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÊÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌËÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÌÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÍÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÏÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÐÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÑÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÒÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÓÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÔÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÕÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÖÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Ì×È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌØÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÙÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÚÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÛÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÜÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÝÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌÞÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌßÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌàÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌáÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌâÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌãÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌäÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌåÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌæÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌçÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌèÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌéÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌêÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌëÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌìÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌíÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌîÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌïÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌðÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌñÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌòÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌóÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌôÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌõÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌöÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Ì÷È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌøÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌùÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌúÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌûÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌüÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌýÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÌþÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÿÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÉÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÊÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍËÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÌÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÍÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÏÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÐÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÑÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÒÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÓÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÔÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÕÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÖÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Í×È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍØÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÙÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÚÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÛÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÜÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÝÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍÞÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍßÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍàÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍáÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍâÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍãÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍäÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍåÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍæÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍçÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍèÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍéÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍêÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍëÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍìÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍíÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍîÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍïÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍðÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍñÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍòÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍóÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍôÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍõÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍöÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Í÷È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍøÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍùÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍúÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍûÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍüÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍýÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÍþÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÿÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÉÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÊÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎËÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÌÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÍÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÏÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÐÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÑÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÒÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÓÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÔÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÕÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÖÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Î×È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎØÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÙÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÚÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÛÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÜÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÝÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎÞÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎßÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎàÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎáÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎâÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎãÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎäÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎåÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎæÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎçÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎèÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎéÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎêÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎëÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎìÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎíÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎîÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎïÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎðÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎñÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎòÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎóÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎôÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎõÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎöÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Î÷È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎøÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎùÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎúÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎûÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎüÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎýÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÎþÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÿÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÉÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÊÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏËÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÌÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÍÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÎÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÏÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÐÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÑÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÒÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÓÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÔÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÕÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÖÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù Ï×È É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏØÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÙÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÚÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÛÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÜÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÝÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏÞÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏßÈ É>qè=à)ø9$# ¼çnuŽÅÀr& qßgsù ÏàÈ

$RÎ $YÏ»ƒ$«Í $6dØ$u žx . A$% ÇÍÈ ëqèÿƒ b& Ø$ %{ 'ù ÈRŒ ¥?ã ÑÇ¸r ÇÌÈ brãd 4<Î @Å'ù

.(١)á ÇÍÈ ûüÜ=»è¤ÉÞ ‘ ÃqÍ‘ $RÎ wqàù šc ¤ãéÜ $<ÏÙ ÇÍÈ bqãÜG¢ B NãèB

وقال سبحانه وتعالى: @èôÑ ÇÍÈ “ ÌB& þí ž„r ÇÍÈ “ íŽõ ¹ ’í ÿžõ $É ‘ A$% â :

šR©$ÇÌÈ ÓÅ& brãd ÇÍÈ ’íd& ôÏ #Ìír ’ík@èô_$ ÇÍÈ ’íq% (qß)ÿƒ ÇÍÈ ’Î$ ¡) ` Ï Ž‰¢ãà

$ZÍ MZä 7RÎ ÇÌÍÈ #Ž•Ì. 8•äõRr ÇÌÈ #ŽÌ. 7 sÎ÷êõ1 ÇÍÈ “ ÌB& þÎ¤ÕõÒr ÇÌÈ “ íŽ& ÿÍÎ

.(٢)á ÇÌÈ Ø›qß»ƒ 7 9s‹Ï MŠÎrÉõ% A$% ÇÎÈ #ŽÃ /

قال ابن كثير – رحمه الله – "هذا سؤال من موسى – عليه السلام – لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفراً، وأكثرهم جنوداً، وأعمرهم ملكاً، وأطغاهم وأبلغهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرفُ الله، ولا يعلم لرعاياه إلها غيره، هذا وقد مكث موسى – عليه السلام - في داره مدة وليداً عندهم في حجر فرعون وعلى فراشه، ثم قتل منهم نفسا فخافهم أن يقتلوه، فهرب منهم هذه المدة بكمالها... ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيراً، يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له"(٣) ولهذا سأل الله أن يحقق له ما يعينه على أداء مهمته فأعطاه الله سُؤله، وأمره بكثرة الذكر لله والدوام على ذلك â Ïwr ’Î$<Ï? ¨Ì ÌøŒ “ á(٤).

فأخذ موسى عليه السلام أخاه هارون وذهبا إلى فرعون وقد التزما أسلوب الدعوة بالتي هي أحسن؛ لأن الله قال لهما â ùwqàù ¼ç9 ¨Ì ¼ŽŽÏ Ø ¼ãŽ© Ff ¼ãèÈ©$ Ÿ¾Ï Z¨ ¼ç9 ¨Ì ¼ãè© ´ ¯ r& ãÍ á(٥).

---

(١) سورة الشعراء: ١٠ – ١٦.

(٢) سورة طه: ٢٥ – ٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير (١٩٧/٣) .

(٤) سورة طه: ٤٢.

(٥) سورة طه: ٤٤.

عندما واجه موسى وهارون – عليهما السلام – فرعون أخذا يستدلان على وحدانية الله بالنعم المرئية لعله يستجيب لنداء الله، ويعترف بالذي خلقه وخلق سائر المخلوقات(١).

3' ‰d ßÊ¼ç)ùz äÓ« @ä4 Üã& ü' Ï‰ß$ZŠ' A$% ÇÍÈ Ó›qß»ƒ $Jâ§ ` Jù A$% â

Ó¤Yƒ Ÿwr 'Îr @ÆÐƒ žv 5=»Gï 'Î 'Îr ‰Zã $gßãe A$% ÇÎÈ 4<rW{ßÈrêÞ¼ßã$/ $Jù A$% ÇÎÈ

$Yô•z 'ù ß$B ä$Jj 9$` B A"R&r WÇ?' $kŽï ßã9 7=™r #‰ðB Ú öF{ßã9 Ÿè_ " Ï‰ßÇÎÈ

.(٢)áÇÍÈ4 SZ9$'ír[[M»ƒy 7Ï°Œ 'Îb) ßãJ»èR&{öãöß {qèäÇÎÈÓ®N$7R` B%[°r&Ÿïî

ولكن كل هذه الاستدلالات لم تغن فرعون شيئاً فلم يستجب و لم يعترف بأن الله هو الإله الحق، و لم يزده ذلك هو وملؤه إلا ضلالاً وبعداً عن الحق.

ولهذا قال الله عنه: $Y_ì÷ ßÏ $ZK¥Å& A$% ÇÍÈ 41&r >¤3ù $g=ä $ZÏ»ƒ#ä ç»Y≠'& ß)9r â

žv #‰ãðB 7Z•/r $ZY•/ @èô_ $ß ¼ÏÎ¥B 9s ÅÎš• Z•ÏZ=ù ÇÍÈ Ó›qß»ƒ 8ì÷s ÅÎ $ZÆö& ôB

ÇÎÈ ÓÕÆâ $Z9$Ž³ tä b&r ïZƒÏ°$ãðƒ ßäÞãðB A$% ÇÎÑÈ " ¾ÏM $Z3B MR& ¾wr ßtÞ ¼çÎ/Ó

$¥ÉŸ2 «‹$'?ã (rçÏÏ¿ Ÿwr ßã=ƒr Ó›qB Oß9 A$% ÇÏÈ 4& ßÊ¼ç‰ø¥2 ì J f ù ãïãd 4<qGù

. á ÇÏÈ 3' ŽIÞ$ÇB >% { ß%r 5>#‹èÎ /ãGÅóãù

قال السعدي – رحمه الله – "يخبر تعالى أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع جميع أنواعها العيانية، والأفقية، والنفسية، فما استقام ولا ارعوى وإنما كذب وتولى، كذب الخبر وتولى عن الأمر والنهي، وجعل الحق باطلاً، والباطل حقا وجادل بالباطل؛ ليضل الناس فقال: " 8ì÷s ÅÎ $ZÆö& ôB $Y_ì÷ ßÏ $ZK¥Å& " زعم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى سحر وتمويه المقصود منها إخراجهم من أرضهم، والاستيلاء عليها؛ ليكون كلامه مؤثراً في قلوب قومه، فإن الطباع تميل إلى أوطانها ويصعب عليها الخروج منها ومفارقتها، فأخبرهم

(١) انظر التفسير الكبير(٢٢/٥٢) دار الكتب العلمية.

(٢) سورة طه: ٤٩ – ٥٤.

أن موسى – عليه السلام - هذا قصده ليبغضوه ويسعوا في محاربته، فلنأتينك بسحر مثـــل سحرك فأمهلنا واجعل لنا موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى"[١].

قال الله تعالى في كتابه: â A$% ÏqãB ãä%Ö Nä3ã?ôqtB tPöqtƒ ÏpuZƒh9$# br&ur uŽ|³øtä ¨$¨Z9$# ?Ó9ç÷Ò Çàá ÇÍÈ á[٢].

وقد تجلت فطانة النبوة في موسى عليه السلام فحدد الموعد المناسب في يوم معروف لهم يجتمعون فيه، ويتزينون يوم عيدهم أو يوم عاشوراء، أو يوم الفـــيروز أو يـــوم كـــانوا يتخذونه سوقاً ويتزينون فيه، فاللفظ محتمل للجميع[٣] وإنما واعدهم موسى – عليه الـــسلام – ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد، في المجمع الخاص، لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويضعف حدّ المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بـــذلك الأمر؛ ليعلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع أهل الوبر والحضر[٤].

فلما كان موعد الاجتماع مع موسى – عليه السلام - وهؤلاء السحرة، كان فرعون قـــد اجتمعت أمامه القيادات الثلاث التي تدعمه وتساعده في حكم أهل مصر.

- § القيادة الإدارية: المتمثلة في هامان.
- § القيادة المالية والاقتصادية: المتمثلة في قارون.
- § القيادة الإعلامية التأثيرية: المتمثلة في السحرة[٥].

ولهـــذا قـــال تعـــالى: â tbrã%s?ur šcöqtãöÏùur šcºyJ»ydur (ôs)s9ur Nèduä!%y` 4Óy›qB ÏM»uZÉi?t6ø9$$Î/ (#rçŽy9õ3tFó™$$sù †Îû ÇÚö‘F{$# $tBur (#qçR%x. šúüÉ)Î7»y™ ÇÌÒÈ á[٦].

وقال تعالى: â ô‰s)s9ur $uZù=y™ö‘r& 4Óy›qãB $uZÏF»tƒ$t«Î/ 9`»sÜù=ß™ur AûüÎ7•B ÇËÌÈ 4n<Î) šcöqtãöÏù šcºyJ»ydur šcr㍻s%ur (#qä9$s)sù ֍Ås»y™ Ò>#¤‹x. ÇËÍÈ á[٧].

(١) تفسير السعدي: ٥٠٨.
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٣٢٦/٤) .
(٣) سورة طه: ٥٩.
(٤) الكشاف ٦٥٩ .
(٥) قصص القرآن، للخالدي (٤٢٥/٢) .
(٦) سورة العنكبوت: ٣٩.
(٧) سورة غافر: ٢٣ – ٢٤.

وكان السحرة ذوي فطنة، ففطنو إلى لهجة فرعون في مخاطبتهم، ولاحظوا حاجتـــه الماسة إليهم؛ ليخلصوه من مشكلة موسى – عليه السلام - وصاروا يفرقون بين أســـلوب فرعون السابق، القائم على الاستكبار والاستبداد، وبين أسلوبه الآن القائم علـــى التـــودد والتقرب فأرادوا استغلال هذه الفرصة لتحقيق مكاسب مالية قد لا تحصل لهم في مـــستقبل أيامهم ولن يمانعهم؛ لأنه في أمس الحاجة لهم ففاوضوه على الثمن، ووافقهم فرعون على ما يريدون وزيادة[١] قال تعـــالى: ﴿ $Zà2 bÎ#•ô Y($Z9 žc Î(pæ% šc ùãëÜ ë• s ¡¡ 9$ä!` r â ﴾[٢].

فعندما اجتمع الملأ ومن كان مع فرعون وحضر موسى وهارون – عليهما السلام - في هذا الموقف العظيم يقول الله تعالى: ﴿ Og9 A$% ÇÏÈ 4& ßê¼ç‰øY2 ì J f ù ãùãëÜ 4<qGù â ÇÏÈ 3ª ŽIøßÇB >%{ ö‰r 5>#‹èÎ /ãGÅóãù $YÉY2 «!$’?ã (rçÜø? Ÿw Nä=ør 4›qB Oä‰`ìãb& È#‰ƒìãÈ°•Å»¡9 È°‹»d ìÎ(pæ% ÇÏÈ 3ª qõ Z9$(r& ôßY•/ Nè•ß& (pã“»YGù ö‰r $y¹ (qçßßêNä‰øY2 (qãÜd'ù ÇÏÈ 4?#ßßãÜ)ƒìÜÎ $7dõƒr $JÜìéÅÎ NäÆ ô& ôÏB A$% ÇÏÈ 4+øô B Aï& bqãb& $BÎr ’Åèb& $BÎ›qß»ƒ (qæ% ÇÏÈ 4?èGY$ÇB Pö‹ß$x=ø& ¾ïÅÜøR ’Î § _ƒ'ù ÇÏÈ 4ëó ß $kX& Lèìé Å `Ï ïøÎ@§ãŠÄ ïr Nçß7ïm #ŒÎù (qàø& @/ (pãZ¹ $B ø#)ù 7ÝŠÜƒ ’Î $B È¸ør ÇÏÈ 4?ãF{$MR& š• RÎø# ,?Ÿw $Zùè ÇÐÈ 4›qB ¤ÿy‹Å $ZB#ä (pæ% #‰gãä ë• s ¡¡ 9$’Åøù ÇÏÈ 4& ß¸ øm ëm$¡¡ 9$ßx÷ÿøãÝr 9Å»™ ß& (qãY¹ $JRÎ Nä3J=æ “ Ï‰GßNäç•î39 ¼çRÎ Nä9 bŒ#ä Þ& Ø6‰ ¼ç9 LèZB#ä A$% ÇÐÈ 4›qãr brãd É•Î £Ù=èG9r @÷¸ Z9$ÆÈäã ’Î Nä7k¹ ⌊r 7#»=Å ôÏ /ã=ã&r Näƒ‰ƒ& Æ èË%⌋ù •ßÅ9$ $R•Üù “ Ï‰GßÑ M»ZÉßßŠÆ Ï $Rä!` $B 4?ã 8•ÖsÞè` 9 (qæ% ÇÐÈ 4+ør $Y#‹ã ‰©& $Yƒ&

---

(١) انظرالقصص القرآني، للخالدي (٢/٤٣٣) .

(٢) سورة الأعراف: ١١٣ – ١١٤.

$Z»«Ü z $Z9 •ÿ ø«ï $Z Î ÎÎ $ZB#ä $R Î ÇÈ $‹R$!$o4$tø$ÍÉ»d ÓÐ ø? $JR Î CÙ $% MR& $B ÇÙ ¼ $Br

.[1] á ÇÌÈ #+ûr žoz ª! $r ÌóÅ9$`Ï îø ã $YG d•ø& $Br

من خلال هذا النصح القرآني تنتهي هذه المحاورة بثلاث نتائج:

١/ هزيمة فرعون وقومه وخذلانهم أمام الحق.

٢/ نجاة ونجاح السحرة، وإيمانهم بالله رب العالمين المستحق للألوهية والربوبية.

٣/ نصر موسى وهارون عليهما السلام، وتحقيق وعد الله لهما بالفوز على فرعون.

كما أنهم خرجوا بالنتيجة اليقينية، وهي أن موسى رسول من رب العالمين، وأن المستحق لاتخاذه معبوداً الذي له صفات الكمال والجلال وهو الله رب العالمين، وما فرعون إلا عبد من عباده الضالين الذي لا يستحق أن يكون رباً ولا إلها؛ لما امتاز به من صفات النقص المحض، فهو كافر كاذب، معتد أثيم، ضال مصر على الباطل والضلال.

ولما بلغ التجبر والعناد بفرعون وقومه مبلغه، جاء النداء الرباني لموسى عليه السلام بالأمر بالخروج بمن آمن معه ليلاً، ولكن سرعان ما علم فرعون بخروجهم فتبعهم بجيشه الكبير ليلحق بهم الأذى، ولكن قدرة الله فوق قدرة كل أحد، فسرعان ما مشى موسى عليه السلام وبنو إسرائيل إلى البحر، فجعله الله لهم طريقا يبسا؛ لإخلاصهم له بالتوحيد والعبودية، أما فرعون وجنوده لما أرادوا المشي فيه أغرقهم الله وأهلكهم، فأراد فرعون أن يعلن إسلامه وخضوعه لله في وقت لا ينفع فيه مال ولا بنون .

šc qãG 7 Ï‰7Î 7 ŠÉ Z Pø« Ç Èûï‰Å ÿ3 $`Ï MZär @6% MÁ ã6‰r `»ä â

.[2] á ÇÈ šc qè»ó9 Z`Ï #Z. bÎr Ï#ä 7 ÿ z ôJ

المرحلة الثانية: في دعوة موسى – عليه السلام – دعوته مع من آمن معه.

بعد أن نجى الله موسى – عليه السلام – ومن آمن معه بسبب توحيدهم الله وأهلك فرعون وملئه بسبب كفرانهم بعقيدة التوحيد، مرَّ قوم موسى – عليه السلام - على أناس

---

(١) سورة طه: ٦٠- ٧٣.

(٢) سورة يونس: ٩١ – ٩٢.

يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه من دون الله كما فعل هؤلاء قال تعـــــالى: ﴿ ﴾ (١).

قال ابن القيم – رحمه الله – "فأي جهل فوق هذا ؟ والعهـــد قريـــب، وإهـــلاك المشركين أمامهم، بمرأى من عيونهم فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلها، فطلبوا من مخلوق أن يجعل لهم إلها مخلوقاً وكيف يكون الإله مجعولا ؟ فإن الإله هو الجاعل لكل ما سواه، والمجعول مربوب مصنوع، فيستحيل أن يكون إلها، وما أكثر الخَلَف لهؤلاء في اتخـــاذ إلها غير الله فقد اتخذ إلها مجعولاً"(٢).

ولما واعد الله موسى – عليه السلام – لتكليمه ولإنزال شريعة التوراة عليه ثلاثـــين ليلة فأتمها بعشر، وذلك هو ميقات ربه، انتهز السامري فرصة ذهاب موسى عليه الـــسلام وكان بنو إسرائيل قد جمعوا حليهم، فأخذه وصاغه بصنعته الهندسية على صورة العجـــل، واحتال عليهم حتى جعل الريح من فمه كشبه خوار العجل، فجعله معبوداً له ولبني إسرائيل، ومن عجيب أمرهم أنهم لم يكتفوا بكونه إلههم، حتى جعلوه إله موسى فنسبوا موسى عليه السلام إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى، بل عبادة أبلد الحيوانات وأقلها دفعاً عـــن نفـــسه بحيث يضرب بها المثل في البلادة والذل فجعلوه إله كليم الرحمن، ثم لم يكتفوا بذلك حـــتى جعلوا موسى عليه السلام ضالاً مخطئا فقالوا: فنسي(٣).

قال تعالى: ﴿ ﴾

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٨ – ١٣٩.

(٢) إغاثة اللهفان (٢/٢٩٩ - ٣٠٠) .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

ففي قوله: " الخطاب للنبي r وفيه الأمر له بالصبر على أذى قومه المشركين بالله، وعليه أن يصبر كما صبر موسى عليه السلام، كما أن فيه نذير لهؤلاء المشركين الذين زين لهم الشيطان عبادة المعبودات الضالة عن المعبود الحق، وأنهم إن استمروا على هذه الحال فسيأتيهم عذاب الله لا محاله كما حصل للسابقين.

كما أن قوم موسى – عليه السلام - لما عرضت عليهم التوراة لم يقبلوها، وقد شاهدوا من الآيات ما شاهدوه حتى أمر الله سبحانه جبريل – عليه السلام –، فقلع جبلاً من أصله على قَدْرهم، ثم رفعه فوق رؤوسهم، وقيل لهم إن لم تقبلوها ألقيناها عليكم فقبلوها كرها[٢] قال تعالى: * â

وقد حكى القرآن عن قصة موسى – عليه السلام - مع قومه الشيء الكثير وكان من أبرز ما يدل على عنادهم وتماديهم في الغي ما يلي:

١/ عدم طاعتهم لله ورسوله وذلك حينما بشرهم موسى – عليه السلام - بدخول القرية وأنهم سينتصرون على أعدائهم فقالوا على سبيل الإهانة، قال تعـــالى: â

---

(١) سورة طه: ٨٨ – ٩٨.

(٢) إغاثة اللهفان (٢/٣١١).

(٣) سورة الأعراف: ١٧١.

(٤) سورة المائدة: ٢٤.

قلت: فقد خالفوا أمر الله ورسوله وهذا والله عين الحماقة وسوء الأدب مع الله ورسوله.

٢/ أخبر القرآن الكريم عن قساوة قلوبهم وغلاظتها، وعدم رسوخ الإيمان فيها، قال تعالى:

[illegible][1].

٣/ تحايلهم على دينهم ومسخهم له ومن ثم فقد مسخ الله هؤلاء فجعلهم قردة؛ لأنهم تحايلوا على استحلال محارم الله، مثل: تحريم الصيد عليهم يوم السبت، وتحريم الشحوم وغيرها، قال تعالى ذاماً لهم

[illegible]

[illegible][2].

وقال أيضاً:

[illegible][3].

٤/ اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، وقد لعنهم رسول الله ﷺ على ذلك ولعنته تتناول فعلهم[4]. لقوله – عليه السلام – (.... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)[5].

٥/ كما أنهم كانوا يقتلون الأنبياء الذين لا تُنال الهداية إلا على أيديهم ويتخذون أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، يحرمون عليهم ويحلون لهم، فيأخذون بتحريمهم وتحليلهم

---

(١) سورة البقرة: ٧٤.

(٢) سورة المائدة: ٦٠ – ٦٣.

(٣) سورة المائدة: ٨٠.

(٤) إغاثة اللهفان (٢/٣١٩) .

(٥) أخرجه مسلم (١/٢١٧) برقم (٥٣٢) .

ولا يلتفتون: هل ذلك التحريم والتحليل من عند الله تعالى أم لا[١].

٦/ كذبهم على الله تعالى وجرأتهم في ذلك، قال تعـــالى: â * ä@$9Ö$èÖ Q 2Ÿ$b m ï x ÿ6[ÍÛ

ó Ž Ãâ ƒ/ŸÆ ž$B m$P Ž ó ŽÃâ ƒ/Ÿ@ã?4 R ÿ ž A Ì ¼ Ÿ` Ë 6ŠÏ@ è& b ê\"A$9©Ï‘ 1 è@ ù2q è(ÿ$9©Ï‘ 1 Ÿ

$Ó Æã ÿ b ä Z Ç N ¹ |»‰Ï ü úš ÈÌÏÇ ùJ Ç$ ÏIž 3 ã?'$ »$ 3É< > Ë` ./ è‰ Œ ÝÍ 7 ùré »9Í •š

ŸÓ Ï9$@ Ê ß Ïbq ÈÌÏÇ ùè@ ¹ |‰-$! ª $? ÏãÎ qè(B$' ó •Ù ÏÒ L ŸZ à ÿ$r B$. b %Ÿ` Ë $Ó Ö ÏÛ ïûÈÌÏÇá[٢].

٧/ بلغ بهم سوء الأدب إلى القدح في نبيهم موسى عليه السلام، فقد آذوه في حياته ونسبوه إلى ما برأه الله منه، ولهذا جاء في صريح القرآن ما ينص على عدم التأسـي بأفعـالهم وأقوالهم قال تعالى: â ƒ7 $ ¼ $!$ ƒ ï%©!@ ä#ÎiÿäûqäT ä? w(qä ãª ä#ÎiÿäûqäT (# ä®ǿ ÿ ü < ! $! Ÿ ‹ª Ÿ#Ó

%$!(qä ‹ r. %b ã Z % ‘$ r { ÅZ Ÿ$ ÈÏÇá[٣].

وما ذكره هنا عن حالهم وعنادهم وعدم استجابتهم للحق غيظ من فيض ولـذا نجـد حديث القرآن عنهم في مواضع كثيرة وعظيمة من سور القرآن؛ لأنه سـبحانه أراد أن يعالج نفوس العباد بالقضايا العقدية التي كانت سببا في انحراف قوم موسى وغيهم؛ ولهذا قال السيوطي – رحمه الله –: "أن قصص الأنبياء إنما كررت؛ لأن المقصود بهـا إفـادة إهلاك من كذبوا رسلهم، والحاجة داعية إلى ذلك؛ لتكرير تكذيب الكفار لرسـول الله r، فكلما كذبوا أنزلت سورة منذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين[٤]، ولهذا قال تعالى في آيات: â ù)(‰ B Ö Ò Ô M Y ß Ï M$ ¨ ƒÈÌ rïû úšÈá[٥] وقوله تعـالى: â &9 ö ƒ / { ƒ.

d= Ž $ Z ó B ` Ë Ï% ó ö BÏ ` Ë Ï5 ÿ áá[٦].

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/٣١٩.
(٢) سورة آل عمران: ٩٣ – ٩٥.
(٣) سورة الأحزاب: ٦٩.
(٤) الإتقان في علوم القرآن ٦٣٩.
(٥) سورة الأنفال: ٣٨.
(٦) سورة الأنعام: ٦.

المبحث الخامس

دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام إلى عبودية اللّه

دعوة عيسى – عليه الصلاة والسلام – إلى عبودية الله

عندما نتتبع آيات القرآن التي تحدثت عن عيسى – عليه السلام – نجدها تسلط الضوء على قضية مهمة في تقرير العقيدة من أبرز القضايا وأهمها وهي إثبات بشرية وعبودية عيسى – عليه السلام – لربه، وأن المعبود الحق المتصف بصفات تدل على الكمال والتمام هو الله رب العالمين لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد، وقد أثنى تبارك وتعالى على نفسه بصفات الكمال والجلال في قوله: ﴿ ﴾[1].

ففي سورة آل عمران قال تعالى مبشراً مريم بابنها المسيح ﴿ ﴾[2].

ففي هذه الآية الكريمة بشر الله مريم عليها السلام بهذا الابن عيسى، وأنه نبي لبني إسرائيل، وله من المنزلة العالية في الدنيا والآخرة، حيث جعله في الدنيا عبداً لله ورسولاً من أولي العزم من الرسل، ومن المصطفين من عباد الله الصالحين في الدنيا والآخرة، له القربى من الله تعالى، كما أن الله كرَّمه بآية عظيمة وهي تكليمه في المهد ببيان أنه رسول من رب العالمين، وأنه عبد الله ورسوله، وفي هذه الآية تصريح عظيم بأن عيسى ليس ابن الله بل بنص القرآن (عيسى ابن مريم) وفي هذا رد على القائلين أنه (ابن الله) ورد على القائلين بأنه (إله).

بل وصرح في موضع آخر أنه عبد من عباد الله حيث قال: ﴿ ﴾[3].

وقال: ﴿ ﴾[4].

---

(١) سورة الإخلاص: ١، ٤.

(٢) سورة آل عمران: ٤٥، ٤٦.

(٣) سورة آل عمران: ٥١.

(٤) سورة المائدة: ٧٢.

وجه الدلالة من هذه الآية: أن من ألّه عيسى وتقرب له بأي نوع من أنواع العبادة، فهو مشرك كافر يحرم عليه دخول الجنة.

كما أخبر سبحانه عن بشرية عيسى – عليه السلام - وله من صفات النقص ما تستدعي بشريته وتنفي ألوهيته. قال تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ .

كما أن خلق عيسى عليه السلام من غير أب وخلق آدم من غير أب ولا أم أعظم دليل على قدرة القادر تبارك وتعالى قال سبحانه: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

- قال الزمخشري عن قوله تعالى: " ﴿ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ " هو مثيله في أحد الطرفين، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به؛ لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف؛ ولأنه شبيه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة، وهما في ذلك نظيران؛ ولأن الوجود من غير أب أو أم أغرب؛ ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أقرب مما استغربه"[2].
- وقد نهى الله تعالى عن الغلو في عيسى – عليه السلام – فهو عبد الله ورسوله. قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: ٥٩ – ٦٠.

(٢) الكشاف: ١٧٤.

(٣) سورة النساء: ١٧١.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: - رحمه الله -: "كان أقوام يعبدون المسيح والعزير والملائكة فبين الله أنهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا، كما بين أنهم لا يملكون الشفاعة وهذا لا استثناء فيه وإن كان الله يجيب دعاءهم[1] ثم قال: 7 Í»9rëâ: šc qèŠƒtr ¼qGJôn‘ bqã_ëÿr Ù•¼ NÀ& '#‹ÅqÀŠÐÎÎh‘ 4‹Î šc qáG6ƒ šc qã6ƒ ûï%GŠ á ÇÎÐÈ #Yrät¢C b¼. 7Îh‘ >#‹ã bÎ ¥Ÿç/#‹ã.[2]

فبين أن هؤلاء المزعومين الذين يدعونهم من دون الله كانوا يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، ويتقربون إليه بالأعمال الصالحة، كسائر عباده المؤمنين. قال تعالى: b& Nä•ãÇƒ ¥Ÿr â: pJèïø‹r =»FÅ6 ø‹š• ÇÕ¯æ øÎr WÇY2 r‰ÇJø‹'Î ¨ $Y9$ÐÏk3êÄ ‰ä¼‹Ç¤ré š• ?‰ƒ& 'ÎôÎ #ÌÛ ãqãFù $ŽÏ ã‡ãZFù 'ÎôÎ ÎÏÕ9$Ïp«ãg. ÈÏÈ9$`B ßêB øÎr ¥Ÿ<ÅÑY‹Šr p1‘ÇG9$ ¥ƒäÅŽó ÎÍ/ ÅÌÿÝY2 øÎr 'ÎôÎ 4ÄÇJø‹ß‡ø‹B øÎr 'ÎôÎ š Ý •ÇF‹Šr ¤Jò2 F{$ä–Îø‹r Ñú üÏB ÓßÅ ¥Ÿ‡‹»d ÞÎ Nä‡Ê{rãy. ûï%GŠA$)ù Ì»ZÉø‹Ï OßGø_ øÎš• Zã.[4]

فكونه سبحانه يمتن على عبده عيسى — عليه السلام - بهذا المنن يدل على أنه محتاج ومفتقر إلى خالقه لا غنى له عنه، وبهذا تتبين بشريته، وأنه ليس إلهاً كما يدعي ذلك المبطلون.

وقد بعث الله سبحانه عبده ورسوله وكلمته المسيح ابن مريم فجدد لبني إسرائيل الدين، وبين لهم معالمه، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، والتبرئ من الأحداث الضالة، والآراء الباطلة فعادوه وكذبوه ورموه وأمه بالعظائم وراموا قتله، فطهره الله منهم ورفعه إليه، فلم

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/٤١٣).

(٢) سورة الإسراء: ٥٧.

(٣) سورة آل عمران: ٨٠.

(٤) سورة المائدة: ١١٠.

يصلوا إليه بسوء، وأقام الله تعالى للمسيح أنصاراً دعوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه[١].

قـــــال تعـــــالى: Nƒ©B ûüÏ%©!$$Ò=Ïæ A$% $J. «! $‘$ÁR& (#qçRqä(qÈB#ä ûïÏ%©!$$ŠÏ»ƒ â

û_ Í/ .`Bpxÿí+$Ò MZB$«ù «! $â$ÁR& ßtU bqÍí#qtø$A$% «! $’<Ï üí$ÁR& ôB `¿Íí#qsÜ

.[٢]á ÇÍÈ ûïÍ‾ÎÒ»ß (qßJ7ô 'ù ÏÜÍí%ã 4?ã (qÈB#ä ûïÏ%©!$$R%ƒ'ù pxÿí+$Ò N•ÿ.r ©ƒäÅŽóÎ

وقال تعالى: š^ $% «! $’<Ï üí$ÁR& ôB A$% •ÿ2$$ä¡ 4† ¤Šã ¡§ m& $#=ù * â

MØR& $JÎ $YB#ä $Y/‘ ÇÍÈ šc qßÎóã $R'Î %gÒ$ «! $# $YB#ä «! $â$ÁR& ßtU šc qÍí#qs$$

.[٣]á ÇÎÍÈ šú ï‰Ï»±9$ì B $Y©ç2 $u Aqß™$$$Yè?7?$

- **طلب الحواريين نزول مائدة من السماء:**

لا شك أن الحواريين ليسوا بأنبياء، ولسوا بمعصومين من الخطأ، ولذلك ذكر الله عز وجل عنهم أنهم قالوا لعيسى عليه الســـلام: @d Oƒ©B ûüÏ%©!$$Ò=Ïæ šc qÍí#qs$$A$% ©Ï â

.[٤]á ä$Jï 9$`B ©‰í+$B Yã Aí\ãb& š• /‘ ß‹ÜG6ó„ فخوفهم عيسى – عليه السلام – من مغبة هذا السؤال، وأمرهم بتقوى الله، وأنه لا ينبغي للمسلم أن يقترح علـــى الله الإتيـــان بالآيات؛ لأن سننه جرت أن من اقترح على الله آية و لم يؤمن بها إذا جاءت أخذه الله أخـــذ عزيز مقتدر، ونبه عيسى – عليه السلام – الحواريين إلى أن مقتضى إيمانهم ألا يتقدموا على الله باقتراح مثل هذه الآية، وأن يعلموا أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في الـــسماء[٥].

ولهذا قال الله عنهم: @d Oƒ©B ûüÏ%©!$$Ò=Ïæ šc qÍí#qs$$A$% ©Ï â Aí\ãb& š• /‘ ß‹ÜG6ó„

$kÈ÷B ©à2 ûR b& ©ƒÍ+Ïè(qß% ÇÍÈ ûüÏZÏ%©!$$B Nçà2 bÎ) ©!$$(qàÒA% ä$Jï 9$`B ©‰í+$B $Y©ã

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/٢٧٠) بتصرف يسير.

(٢) سورة الصف: ١٤.

(٣) سورة آل عمران: ٥٢ – ٥٣.

(٤) سورة المائدة: ١١٢.

(٥) قصص الأنبياء، القصص الحق ٣٥٠.

وفي هذا الحوار بين عيسى – عليه السلام – وقومه، يتضح لنا مزيد معجزة أخـــرى غير المعجزات السابقة لعيسى – عليه السلام – وهي نزول مائـــدة مـــن الـــسماء حيـــث استجاب تبارك وتعالى لنداء عبده عيسى عليه السلام فأنزل على قومه مائدة من السماء.

ويكشف لنا هذا الحوار عن طبيعة قوم عيسى عليه السلام ..... المستخلصين إنهـــم الحواريون الذين ألهمهم الله الإيمان به وبرسوله عيسى عليه السلام ... فـــآمنوا وأشـــهدوا عيسى – عليه السلام - على إسلامهم ومع هذا فهم بعد ما رأوا من معجزات عيـــسى – عليه السلام - ما رأوا يطلبون خارقة جديدة تطمئن بها نفوسهم ويعلمون منها أنه صدقهم ويشهدون بها لمن وراءهم.

فأما أصحاب محمد r فلم يطلبوا منه خارقة واحدة بعد إسلامهم، لقد آمنت قلوبهم واطمأنت منذ أن خالطتها بشاشة الإيمان، ولقد صدقوا رسولهم فلم يعودوا يطلبون علـــى صدقه بعد ذلك البرهان ولقد شهدوا له بلا معجزة إلا هذا القرآن...

وهذا واضح من قوله تعالى: 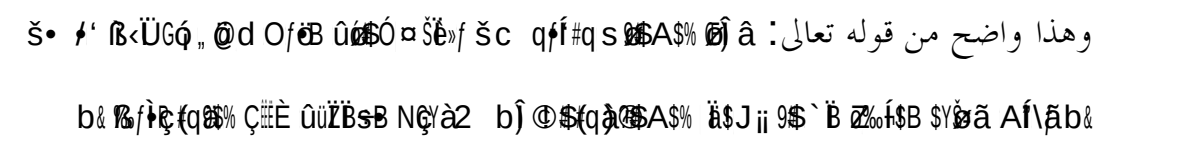

(١) سورة المائدة: ١١٢ – ١١٥.

(٢) سورة المائدة: ١١٢ – ١١٣.

المبحث السادس

دعوة الرسول r

إلى عبودية اللّه

دعوة الرسول r إلى عبودية الله

ظهر نبينا محمد r في جزيرة العرب وهي تموج بالخرافات والوثنيات من عبادة الأصنام والكواكب وعبادة الجن والملائكة، وقد جاء رسول الله r بالشريعة الخالدة والدين العالمي؛ ليحرر العقول من عبادة المخلوقات إلى عبادة الخالق، ويقيم على العدل أعظم نظام سماوي شرعه الله للإنسانية، ولكن الدعوة الخيرة التي جاء بها رسول الإنسانية r واجهت خصوماً تغلغلت الوثنيات في أنفسهم، وزجَّ بهم الكبرياء في متاهات الغي والضلال، فهم لا يرضون أن ينال أحد من آلهتهم شيئا؛ ولهذا وقفوا لدعوة الرسول r في كبرياء وعنف[1].

وبالرغم من تماديهم في الغي فقد دعاهم القرآن الكريم إلى تحقيق عبودية الواحد الأحد المستحق لأن يعبد ويفرد، وقد استخدم القرآن معهم أساليب رائعة في الإقناع بالحجة وذكرهم بعاقبة من كان قبلهم ممن مضى واندثر من أحوال الأمم الماضية في تكذيبها، والنتائج الوخيمة على من حاد عن جادة الحق.

١/ فقد دعاهم القرآن الكريم إلى الدين الإسلامي، والإيمان بمحمد r وبما جعله من محاسن شرعه ودينه، وما يذكره من براهين رسالته؛ ليهتدي من قصده الحق والإنصاف، وتقوم الحجة على المعاند، وهذه أعظم طريق يدعى بها جميع المخالفين لدين الإسلام، فإن محاسن دين الإسلام ومحاسن النبي r وآياته وبراهينه فيها كفاية تامة للدعوة؛ بقطع النظر عن إبطال شبههم وما يحتجون به فإن الحق إذا اتضح علم أن ما خالفه فهو باطل وضلال[2].

وقد كان النبي r صورة حية وقدوة صالحة لما كان يعلمه أصحابه، فما من فضيلة يحثهم عليها إلا كان متحلياً بها، بل سبق بالتمسك بها غيره، وما من رذيلة حذرهم عنها إلا كان أبعد الناس عنها، وسيرته عليه الصلاة والسلام أكبر شاهد على ذلك[3].

---

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر الألمعي ١٨٥، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ٣٠ للسعدي، مكتبة الرشد، ط الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) النبي الكريم r معلماً أ. د. فضل إلهي ١٠٠ – ١٠١ بتصرف يسير، ط الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢/ دعاهم رسول الله r بما معه من المعجزة الخالدة وهي القرآن العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وإعجازه من جهة لفظه ومعناه، أما لفظه ففي أعلى غايات فصاحة الكلام، وكل من ازدادت معرفته بهذا الشأن ازداد للقرآن تعظيماً في هذا الباب، وقد تحدى الفصحاء والبلغاء في زمانه مع شدة عدوانهم له وحرصهم على تكذيبه، بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله، أو بسورة، فعجزوا وأخبرهم أنهم لا يطيقون ذلك أبداً، بل تحدى الجن والإنس قاطبة على أن يأتوا بمثله، فعجزوا وأخبرهم بذلك فقال [illegible]. إلى غير ذلك[(١)]. من الوجوه المثبته للإعجاز، وأما معناه فإنه في غاية التعاضد والحكمة والرحمة والمصلحة والعاقبة الحميدة والاتفاق، وتحصيل أعلى المقاصد وتبطيل المفاسد[(٢)].

ومع هذا كله فقد وقف المشركون ضد هذا القرآن، وقالوا بنسبته لمحمد r وقد افتضح الله فريتهم هذه فقال: [illegible].[(٣)]

وقولهم باطل من وجهين:

١/ أن محمداً r رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب فكيف أتى بهذه المعلومات الضخمة ونسبها إليه وهو صلوات ربي وسلامه عليه معروف عندهم بالصدق فهم لم يجربوا عليه كذبا [illegible].[(٤)]

---

(١) سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) الفصول في سيرة الرسول r لابن كثير ٢٢٨ – ٢٢٩.

(٣) سورة الفرقان ٤ – ٦.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٨.

٢/ لو كان في استطاعة محمد r بمساعدة مجموعة العباقرة المفكرين في الإتيان بالقرآن من عند نفسه، أن افترض وجود عباقرة ومفكرين حينذاك لكان في استطاعة قريش وهم أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله، لاسيما إذا استعانوا بما لديهم من خبرة في عرض الأخبار والقصص، ولكن تحداهم الرسول r في مقامات مختلفة بأن يأتوا بحديث مثله، وجعلهم في سعه من الأمر، تحداهم بحديث مثله، ثم بعشر سور، ثم بسورة وقد عجزوا في جميع المقامات والصور، ثم جاء التحدي العام للثقلين الجن والإنس؛ ليقطع لحاجتهم ومكابرتهم وينهى عناد كل متطاول على هذا القرآن في كل زمان ومكان[١] ÏMèJG ô_ $ È@è â

Ñ ÞèO/ šc %. ðr ¾ Ï bqÐ ÿ Ñ è#äè $ <»d è¥Ï (qÐ b&#? ã • É $ ß Ñ

.[٢] á ÇÈ #Ž ß <Ù è7

وقال تعالى: â

ÿ « $M»ƒ$«Ï šc qŽ Bs ãÿ ûï $ Ç È êú üÎ ?† Î•ã b$ ¡ #<»dr @Ü f ã& ï Î

« $M»ƒ$«Ï šc qŽ Bs ãÿ ûï $ > É3 $ “ Ïÿƒ $JÎ Ç È O $ & è #<ã Ög r ª $ Í ‰ ã

.[٣] á šc qÉ» 6 $ Ñ 7 í» r é

إن ما ورد في آيات الذكر الحكيم من قضايا كونية، وحقائق فلكية، تتعلق بسنن الله فيها، وما يتعلق بالحياة على الأرض وسنن الله فيها، وما يتعلق بالأمم والشعوب التي اندثرت وبقي آثارها، وذكرها وما يتعلق بمستقبل ما يجري في الأيام القادمة، وغير ذلك دليل على أن القرآن منزل من الذي أحاط علما بكل شيء، بأسرار الكون والمخلوقات في السموات والأرض، فلم يستطع أحد أن يبطل حقيقة ذكرها القرآن الكريم، ولن يستطيع أحد أن يكذب خبراً أورده القرآن الكريم عن الأمم السابقة، أو ذكر نبأه عن مستقبل الأيام[٤].

---

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم ٢٨٤.

(٢) سورة الإسراء: ٨٨.

(٣) سورة النحل: ١٠٣ – ١٠٥.

(٤) المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان أ. د. مصطفى مسلم ٧٨.

٣/ دعاهم رسول الله ﷺ إلى التوحيد وبين لهم بالأدلة الساطعة والبراهين الواضحة أنه رسول من رب العالمين، ولكنهم كذبوه كما كذبت الأقوام السابقة أنبياءها، وأتهموا بالسحر والجنون والكهانة قالوا أنه شاعر.

فجاء الرد القاطع من العزيز الحكيم عليهم: ﴿ ... ﴾ [١].

ويحكي تعالى حالهم عندما يرون آية تظهر على رسوله محمد ﷺ: ﴿ ... ﴾ [٢].

وقالوا ليس رسول مرسل من ربه وحجتهم في هذا أنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴿ ... ﴾ [٣].

فلم تكن هذه الشبهة بدعاً أو شيئاً مستحدثا، بل كانت هذه الشبهة تتردد على أفواه كل قوم حينما يرسل الله رسولاً، فقد قالها قوم نوح وشعيب وصالح – عليهم الصلاة والسلام – وهي السنة في جميع الأقوام المكذبين قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [٤].

---

(١) سورة الطور: ٢٩ – ٣٢.

(٢) سورة الصافات: ١٤، ١٧.

(٣) سورة الفرقان: ٧.

(٤) سورة التغابن: ٥ – ٦.

وكانوا يسخرون منه ومن دعوته قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾[1].

وكانوا يتعنتون في طلب المعجزات، حيث قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[2].

قال الإمام ابن السعدي – رحمه الله – "وهو من مقاماتهم المتنوعة مع النبي ﷺ: أنهم كانوا يفترون الآيات بحسب أهوائهم، ويقولون إن كنت صادقاً فأتنا بعذاب الله، أو بما تعدنا، أو أزل عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيونا، وحتى يحصل لك كذا وكذا مما ذكره الله عنهم، فيجيبهم الله عن هذه الأقوال بأن رسول الله ﷺ قد أيده الله بالآيات والله أعلم بما يترل من آياته، وأعلم بما هو أنفع لهم، وأنه قد حصل المقصود من بيان صدقه، وقامت الأدلة والبراهين على ذلك، فقول الجاهل الأحمق لو كان كذا وكذا جهل منه، وكبر منه ومشاغبة محضة، وتارة يخبرهم أنه لا يمنعه من الإتيان بها إلا الإبقاء عليهم وأنها لو جاءت لا يؤمنون، فعند ذلك يعاجلهم الله بالعقاب، وتارة يبين لهم أن الرسول إنما هو نذير مبين، ليس له من الأمر شيء ولا من الآيات شيء وأن هذا من عند الله، فطلبهم من الرسول محض الظلم والعدوان، وهذه المعاني في القرآن كثيرة بأساليب متعددة"[3].

٤/ مناقشة القرآن للمشركين عن معبوداتهم التي يعبدونها من دون الله، وبيان بطلان عبادتها، وأنها لا تصلح لشيء من خصائص الربوبية والألوهية

---

(١) سورة الفرقان: ٤١ – ٤٢.

(٢) سورة الإسراء: ٩٠ – ٩٣.

(٣) قصص الأنبياء فصول في ذكر ما قص الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء ومع أقوامهم للسعدي ٢١١، ٢١٢، اعتنى به أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

أخذ القرآن ينعى على المشركين اتخاذهم معبودات من دون الله، هل هـــذه المعبـــودات خلقت جزءاً من أجزاء الكون في الأرض أوفي السماء، أو كانت معاونة على خلق شيء من ذلك، والجواب حتماً لا، فإذا كانت كذلك فهي لا تستحق أن تعبد من دون الله، لأنها لا تشاركه في خلق ولا تدبير ثم قـــال تعـــالى: " أي هـــل عبادتهم لهذه المعبودات من دون الله جاء به وحي في الكتب السابقة، والجواب قطعاً لا، إذ أن جميع الرسل – عليهم الصلاة والسلام – جاءوا بالأمر الذي لا يتغير ولا يتبـــدل بحال من الأحوال وهو الدعوة إلى عبودية الله وحده، والنهي عن الشرك في عبادته.

وقال تعالى:

(١).

المراد بهم المشركون من بني آدم وعلى هذا يكون القرآن قد ناقشهم بما يأتي:

١/ قوله ".

استفهام إنكاري، فهو سبحانه يخبر أن هذه المعبودات التي يعبدها العابدون لا تخلق شيئا بل هي مخلوقه، كما أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تملك دفع الضر عن نفسها فـــضلاً عـــن عابديها، فثبت عقلاً ونقلاً فساد هذه المعبودات.

---

(١) سورة الأحقاف: ٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٩١ – ١٩٥.

/٢ قولـــــه ÖÇR& P& Ùèqß2ÊöãŠ& ÞãØæ á‡q™ Ùà2 qãÎ6ƒ Ÿv 3* ‰bÚ¨Š'<Î Ùèqã¶? bÎr â

.(١)á ÇÌÈ šc qÊÜ»¹

Ÿv 3* ‰bÚ¨Š'<Î " أي وإن تدعوا أيها المشركون هذه الأصنام التي عبـــدتم مـــن دون الله

šc qÊÜ»¹ ÖÇR& P& Ùèqß2ÊöãŠ& ÞãØæ á‡q™ Ùà2 qãÎ6ƒ فصار الإنسان أحسن حالة منها؛ لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تهدي ولا تُهدَى وكل هذا إذ تصوره اللبيب العاقـــل تصوراً مجرداً، جزم ببطلان إلهيتها وسفاهة من عبدها"(٢).

/٣ bÎÖà6 9 ‡qÇ×ÉG6óŠù Ùèqã¨Š$ Ùà6 ¤$WB& Š$6Ã «‡$ÈrŠ `B šc qã¶? ûïÝ%G$bÎâ

ÚãÃ& ÖG9 Q& $k‹ bqà¨Ü7ƒ ‰ƒ& Ùç; Q& $k‹ bqà¨Ð7ƒ ®ã_ Ù& ÙG9& ÇÌÍÈ ûüÏ‰»¹ ÖÉZä

Ÿx ù Èrŋ‹Ï Ùê Ùää!.Žà ‡qã$$È è $k‹ bqãJó„ Òc #Œ#ä ÖG9 P& $k‹ šc rÇÇ7ä

. á ÇÌÎÈ Èrëàzê

إنه ليس هناك ثمة فارق بينكم وبين من جعلتموهم آلهة من دونه تعالى، فكلكم عبيد لله تعالى ثم تنزل معهم القرآن فقال: ادعوهم وانظروا هل ستحصل الإجابة منـــهم فـــإن حصلت فأنتم صادقون في اتخاذهم آلهة، فقطعا يستحيل أن تجيب دعواكم، فتبين كذبكم حينما جعلتموها آلهة تعبد من دون الله، ثم تأملوا في هذه الأصنام والأوثان هل لها أيد، وأرجل وأعين وآذان فهي معدومة جميع الآلات والحواس فتبين بطلانها، بل أنتم أيهـــا العابدين أفضل منها فكيف تربأ نفوسكم إلى عبادة من هي أقل منكم منزلة ومكانة؟.

قال ابن عاشور – رحمه الله – "ووصف الأرجل بـــ(يمشون) والأيدي بـــ(يبطـــشون) والأعين بـــ(يبصرون) والآذان بـــ(يسمعون) إما لزيادة تسجيل العجز عليهم فيما يحتاج إليه الناصر، وإما لأن بعض تلك الأصنام كانت مجعولة على صور الآدميين مثل هبـــل، وذي الكفين وكعيب في صور الرجال، ومثل سواع كان على صورة امرأة، فإذا كـــان لأمثال أولئك صور أرجل وأيد وأعين وآذان، فإنها عديمة العمل الـــذي تخـــتص بـــه

(١) سورة الأعراف: ١٩٣.

(٢) تفسير السعدي، ٣١٢.

الجوارح، فلا يطمع طامع في نصرها، وخص الأرجل والأيدي والأعين والآذان؛ لأنها آلات العلم والسعي والدفع للنصر؛ ولهذا لم يذكر الألسن لما علمت من أن الاستجابة مراد بها النجدة والنصرة، ولم يكونوا يسألون عن سبب الاستنجاد، ولكنهم يسرعون إلى الالتحاق بالمستنجد"[1].

/٤ . á Ëräâ Zêx ù Ërf‹Ï Ñê Ñää!.Ža {qãš Ê ê â

خوفوا رسول الله r بأن آلهتهم ستنتقم منه كما قال الحسن* – رحمه الله -: إنهم كانوا يخوفون الرسول r بآلهتهم[2].

وفي الآية إذن من الله لرسوله بأن يتحداهم بأن يجتمعوا هم وشركاءهم كلهم لكي يقتلوه أويضروه بأي ضرر شاءوا، وليعجلوا في ذلك لقوله " Ëräâ Zêx ù " فإنكم لن تستطيعوا إلحاق الضرر بي، فإن الله قد عصمني منكم وكفاني شركم، وأعانني بفضله ومنته أن أسفه أحلامكم ومعبوداتكم، وهو سبحانه القادر على كل شيء وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

¾ïÏrŠ `Ï bqãß? `ƒÏ‰Ê ÇÏÈ ûüÅî»Á9$'<qGƒ qèr =»GÅÊA"R " Ï‰Ê ª! $ ‘ÏÏr bÎ â

.[3] á ÇÏÈ šc rçÝÇ Yƒ ÑÅ¡ ÿR& wr Ñà2 ŽÇR šc qã‹ÜGó„ Ïw

أي قل يا محمد للمشركين من عبدة الأوثان (إن ولي الله) نصيري ومعيني وظهيري عليكم "الله الذي نزل الكتاب عليّ بالحق، وهو الذي يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه.

وقل لهم أيضاً إن الله نصيري وظهيري، والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة لا يستطيعون نصركم، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصرة

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢٢/٤) .

(*) الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم ثقة فقيه، فاضل، مشهور مات بالبصري سنة ١١٠هـ تقريب التهذيب ٤٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٥٥/٤) .

(٣) سورة الأعراف: ١٩٦ – ١٩٧.

أنفسهم، فأي هذين أولى بالعبادة وأحق بالألوهة؟ أم من ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده، أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه ؟ [١].

بيان القرآن للمشركين بأن المستحق لأن تثبت له الوحدانية في الخلق والتدبير والعبادة هو الله وحده لا شريك له وما عداه فعبادته باطلة.

¢ÛØßÌÞà `Br•»ÁÖ{$ìð¡9$a7îðƒ `B&ÇÛÖ{$ä$J¡9$`B NaÞßÞ `B@è â /ه

bqàÞG?Ÿù&@àù ª!$bqàÞàŠ¡ù •Ö{$ðâ‰ã `Br ÇÛØßÆ B MíJØßÌÞà rMíJØß`B

7Ï°<. ÇÌÈšc qèŽÇê4Tù @»=Ð9$Žvj Ès Ø‰è/ #Œ$Jù ‘,tø$Ðaš‘ ª!$âà°<ù ÇÌÈ

`B /àí.Žà `B@d@èÇÌÍÈ bqäsãŵ Nå&{þà¡ùšú ï‰Ó’?ã 7ĥ MJî. M›m

`B@d@èÇÍÍÈ bqàùsê4Tù ¼çŒ<ëãÑê,ùø${‰ç ª!$Ò@è ¼çŒ<ëãÑê,ùø${‰ç

c &‘,m&Ès Ø’<Îü‰ã `Jù&Ès ü “ ‰ã ª!$Ò@è Ès Ø’<Îü‰ã `B /àí.Žà

.[٢]á ÇÍÍÈšc qÓàØB #ø.ðØ9$Jù 3‰çb&wÎü Ø‰ŽV `B& ì6Gã

لقد كان منهج القرآن في مخاطبة الفطرة البشرية بآيات الله الكونية والشرعية واضحاً ملموسا من خلال هذا السياق القرآني النبيل، ولقد نهج في أسلوبه أقوى الأدلة المقنعة للقلب والعقل جميعاً، لقد كان مشركو العرب غير منكرين لوجود الله، ولا أنه الخالق أو الرازق أو المدبر، فكان نتيجة ذلك أنهم أقروا بتوحيد الربوبية لكنه لم ينفعهم؛ لأنهم لم يخصلوا له في عبوديته بالإفراد والألوهية والتوحيد، فهم كانوا يتخذون الشركاء والأنداد للزلفى، أو يعتقدون أن لهم قدرة إلى جانب قدرة الله؛ لهذا جاء الخطاب القرآني بأسلوب الاستفهام التقريري[٣] "ÇÛÖ{$ä$J¡9$`B NaÞßÞ `B@è " فلا يشك عاقل في أن

المترل لما في السماء من الأمطار والأرزاق هو اللطيف الخبير. قال تعالى: â

(١) تفسير ابن جرير (١٥٠/٦ – ١٥١) .

(٢) يونس: ٣١ – ٣٥.

(٣) تفسير ابن عاشور (١٥٥/٥) .

$kÌöB ‰è/ Ú öÞ{ $ìÎ $Šôn'ù 5æh `Ï ä$J¡ 9$`Ï ª! $A“R& $Br í$k]9$Þ È@ø$

á ÇÎÈ bqèÉèƒ Ðö)Ï M»ƒ#ä Ëx»ƒÞ$Ée ƒÎÇ©r.[1]

" •»Áø{$Þ ìð¡ 9$à7îðƒ `B& " مجيء الاستدلال بطريقة الاستفهام والجواب؛ لأن ذلك في صورة الحوار، فيكون الدليل الحاصل به أوقع في نفوس السامعين، ولذلك كان من طرق التعليم ما يراد رسوخه من القواعد العلمية أن يؤتى به في صورة السؤال والجواب[2].

وذكر السمع والبصر عقب الرزق؛ لأن بهما يكون تمام النعمة وهما أظهر الحواس التي يكتسب بها العلم والمعرفة، ويحفظان الإنسان من كثير من الأضرار[3] فعطف بأم للإضراب الانتقالي من استفهام إلى آخر ومعنى " •»Áø{$Þ ìð¡ 9$à7îðƒ " يملك التصرف فيهما وهو ملك إيجاد تينك الحاستين وذلك استدلال وتذكير بأنفع صنع وأدقه " ÇÛø$ŠÆ Ï MÚJø$ß‹ÞÞr ÏMÚJø$`Ï ¢Ûø$ß‹ÞÞ `Br " .

أي النبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والسنبلة من الحبة، والطير من البيضة، والمؤمن من الكافر[4]، وقد أشار القرآن إلى هذا بقوله تعالى: â * Ï: 2" qZ9$Þ Ée tø$ß‹Ø$ù ©$bÎ)

á ÇÎÈ bqàùsê4Tù ª! $ÑàÏ‰Æ ÇÛø$`Ï MÚJø$ß‹ÞÞr ÏMÚJø$`Ï ¢tø$ß‹ÞÞ[5].

" •ÐÞ{$êÏ‰ñ `Br " ومن يدبر أمر السماء والأرض وما فيهن، وأمركم وأمر الخلق[6] "ù $bqèùqà)Š¡ ª! " أي سيجيبونك معترفين بأن القادر على تدبير الأمور هو الله وحده لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه أفلا تخافونه سبحانه على شرككم به، وهذه الحقيقة والغاية التي أرادها القرآن من خلال هذه الاستجوابات الفطرية التي تجعل هؤلاء

---

(١) سورة الجاثية: ٥.

(٢) تفسير ابن عاشور (١٥٥/٥) .

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام (٤٥/٢) .

(٤) تفسير بن عاشور (١٥٥/٥ – ١٥٦) .

(٥) سورة الأنعام: ٩٥.

(٦) تفسير ابن جرير ٥٥٨/٦.

المشركين يعترفون بوجود الخالق وأنه هو المدبر المصرف للأمور، مالك السمع والبصر وسائر الحواس، ولكن معظم المشركين الذين ناقشهم القرآن وجادلهم كانوا يعترفون بأنه هو الخالق الرازق المدبر، ولكن يعبدون معه غيره لتقربهم تلك المعبودات – على حد زعمهم – إلى الله قربى.

وفي الحديث عن عمران* – رضي الله عنه – أن النبي r قال لحصين (كم إلهاً تعبد قال سبعة، ستة في الأرض، وواحد في السماء، قال من لرهبتك ورغبتك قال الذي في السماء قال: فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين فأسلم، وعلمه النبي r أن يقول: اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي)[1].

وكان من مناهج القرآن في مجالات خصومه أنه يقرر الخصم بما لا مجال لإنكاره؛ لأن إلزام الخصم عن طريق ما يسلم من أبلغ الطرق الجدلية؛ لأنه إذا سلم المقدمات جميعاً فقد ألزم بالنتيجة سواء التزم ذلك أو لم يلتزم.

وأمام هذه الحقائق الثابتة التي اعترف بها المشركون أنفسهم، بين القرآن الكريم أن من بيده تصريف كل شيء، هو رب كل شيء ومليكه وهو الإله الحق المعبود وعبادة ما عداه زور وضلال[2] á šc qèŽÇê4Tù @»=Ð9$vî Ès‰è/ #Œ$Jù â[3].

ثم أعاد القرآن استجوابه لهؤلاء المشركين مبيناً عجز هذه الآلهة وأنها لا تقدر على بدء الخلق ثم إعادته ,tìø$(‰q ª $Œè ¼çß‹êã$ê ,tìø$(‰q `B /aí.ža `B @d @êâ ,tìø$(‰q ª $Œè ¼çß‹êã$ê

á ÇÌÍÈ bqàùsê4Tù ¼çß‹êã$ê[4].

(*) عمران بن حصين بن عبد الخزاعي، أسلم عام خيبر، وقيل قبل ذلك غزا مع رسول الله e بعض الغزوات وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح تحول إلى البصرة وسكن بها إلى أن مات وكان من فقهاء وفضلاء الصحابة توفي ٢٥٠هـ وقيل ٢٥١هـ.

(١) أخرجه الورياني في مسنده (٩٦/١) برقم (٨٦)، ومن طريقه اللالكائي في الإعتقاد (٦٥١/٤) برقم (١١٨٣) وابن الأعرابي في معجمه (٣٥٥/٤) برقم (١٨٤٧) من طريق الحسن بن أبي الحسن عن عمران بن حصين فذكره، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١٧٧/١) برقم (١٤٤) من طريق عمران خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين عن أبيه، عن أبيه عن جده، فذكره . كتاب التوحيد لابن خزيمة تحقيق د/ عبد العزيز الشهوان ط ٥ الناشر مكتبة الرشد بالرياض، اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، ط ١ الناشر دار طيبة.

(٢) مناهج الجدل في القرآن، ١٩٣.

(٣) سورة يونس: ٣٢.

(٤) سورة يونس: ٣٤.

ثم وجه استجواباً آخر للمشركين يتعلق بالهداية وأن من بيده الهداية بنوعيها الهداية العامة والخاصة هو المستحق فعلاً للعبادة؛ لأن معبوداتكم لا تهدي ولا تهتدي، ولهذا جاء توبيخهم على اختيارهم تلك المعبودات، وأن حكمهم هذا في غاية الضلال[١].

قال السعدي: – رحمه الله – "فإذا تبين أنه ليس في آلهتهم التي يعبدون من دون الله أوصافاً معنوية ولا أوصافاً فعلية تقتضي أن تعبد مع الله، بل هي متصفة بالنقائص الموجبة لبطلان إلهيتها فلأي شيء جعلت مع الله آلهة.

فالجواب: أن هذا من تزيين الشيطان للإنسان، أقبح البهتان، وأضل الضلال حتى اعتقد ذلك وألفه وظنه حقا وهو لا شيء[٢].

٦/ دعوة النبي r في القرآن لليهود والنصارى بالدخول في هذا الدين وبيان فساد أقوالهم وشبهاتهم قال تعالى: â ÏMs9$s%ur ßqåkuø9$# î÷ƒtã «!$# ÏMs9$s%ur "t»|Á¨Y9$# ßxŠÅ¡yJø9$# ßûøó$# «!$#

4Ï& ª! $ÎgÏ9öqsù Nßgè=öqs% `Bó ` Îgyd¨Y2 ûúÏ%©!$#Aqü% šc qèdÎgªÒãƒ öNÎgÏdºuqøùr'/ Oßgä9öqs% š• Ï9ºŒ

šÆ ßûøó$# x‹Å¡yJø9$#ur «!$# Âc rßŠ `Bó $Y/$t/ör& öNßgt7»ydâ‘ur öNèdu‘$t6ômr& (#ÿräsƒªB$# šc qä3sù÷sãƒ

šc qà2 Îô³ç$Bãã ¼çmtR»ysö6ß™ qèd žwÎ) tm»s9Î) Hw #Y‰Ïm¨r $Yg»s9Î) (#ÿrß‰ç6÷èu‹Ï9 žwÎ) (#ÿrãÉDé& !$tBur NÍ¬B

á[٣].

بالتأمل في هذه الآيات يتضح لنا المحاور الأساسية لأقوال هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب.

١/ قول اليهود "î÷ƒtã «!$#" .

٢/ قول النصارى "ßxŠÅ¡yJø9$# ßûøó$# «!$#" وأن المسيح ابن الله، وأن الله ثالث ثلاثة.

٣/ أن اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم رهبانهم أرباباً من دون الله.

(١) انظر: مناهج الجدل في القرآن، ١٩٤.

(٢) تفسير السعدي ٣٦٤.

(٣) سورة التوبة: ٣٠ – ٣١.

إن مقولة اليهود هذه لم تكن من عامتهم بل قالها بعضهم، ولكنها نسبت لليهود عموماً لينبه القرآن الكريم عن شناعة هذه المقولة وتجرؤهم فيها على الله تعالى.

وقد قيل إن سبب ادعائهم في عزير أنه ابن الله، أنه لما سلَّط الله الملوك على بني إسرائيل ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حملة التوراة، وجدوا عزيراً بعد ذلك حافظاً لها أو لأكثرها فأملاها عليهم من حفظه واستنسخوها فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة(١).

والقرآن قد سبر أحوالهم وفضح افتراءاتهم وبين أنهم أضاعوا التوراه وتركوا العمل بما فيها فضلوا وأضلوا وأخذوا يحرفون الكلم عن مواضعه. قال الله عنهم: [illegible] .(٢)

وقال أيضاً: [illegible] .(٣)

وقال أيضاً: [illegible]

---

(١) تفسير السعدي: ٣٣٤ .

(٢) سورة النساء: ٤٦ – ٤٧.

(٣) سورة المائدة: ١٣.

ëU #‹ ã ì•Å F$'Î ôG9r Ö “Å $‹‰9$'Î Nç ôG/qè•ÜÜãb& ª $ÌÌãÔ9 ûïÏ‰$š• Í»9ré

ôÚ Ì ã& ¬& Nhž‹/ Nã¬n$ 8râ$_ bÎù Ïmó•¡ =Ï bqèž2 & É É3ÜÏ šc qã»Ð™ ÇíÈ Ò$ãà ã

ï¬ ïtã ©$bÎ Ãx ó ÉÐÎ Nhž‹/ Nã¬n$ Mð3m bÎr $\ø© 8 r²ØÏ„ `=ù ôG¼ã ôÚ Ì èêbÎr Nhãã

.(١)á ÇíÈ ûüÜÅ ÞØ3Ð$

كما أخبر تعالى عنهم أنهم يحرفون كلام الله كل هذا خيانة منهم وحبهم لاتباع الهوى قال تعالى: Ø ê‹ ¹$N»=Ÿ2 bqãJó„ NG¼B ×ƒÌù b‰. ‰r Nã9 ¶qžBsãb& bqãJÖGù& â:

.(٢)á ÇÎÈ šc qÐ=êƒ Nèr ç¶è) ã $B ‰è/ .` B ¼çRqè•tã

فإذا كان هؤلاء اليهود ليسوا مصدر ثقة فيما استحفظوا عليه من كتاب الله، فمن الطبيعي أن لا يوثق بأقوالهم التي تخالف العقل والنقل، وتخالف الفطر الإنسانية المستقيمة، وقد قالوا كما ذكر القرآن في قوله: â ãŸ‹Ïô& Šur ž•Éù ©$bÎ â

.(٣)á

وحكى الله عنهم كثيراً من المخازي كقوله تعالى: â

.(٤)á Î!qè B ¹ $ƒ Šq Ì$Ì9$‰r

فدعا عليهم بقوله â

.(٥)á ã± „ # ø. ßÿ Ÿã È$GÛqÝ6B ç#‰ƒ @/ ¶qã‰ $ÿÎ ¶qè•r Nƒ‰ƒ& M=ã

أفيستعبد بعد هذا أن يفتروا على الله كذبا فينسبون له الأبناء ! بل أو لم يدعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه كما حكى الله عنهم ذلك بقوله: â

.(٦)á ¼çè»6m& ¹ $

---

(١) سورة المائدة: ٤١ – ٤٢.

(٢) سورة البقرة: ٧٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٨١.

(٤) سورة المائدة: ٦٤.

(٥) سورة المائدة: ٦٤.

(٦) سورة المائدة: ١٨.

وقد ناقض القرآن زعمهم هذا بقوله تعالى: OçR& @/ Na7qça7 Na6Éèã Nù @ê â $JG7•/ $Br ÇJ öF{$ Ï N°q»J¡ 9$a7 tB+r â$±„ `B Ù JÉèãr â$±„ `J ïäyø ,={ ô ÐB ž³ (á ç•Ã J ø$ïø)r[1].

أما عن مقولة النصارى إن الله هو المسيح ابن مريم، فقد قال الله تعالى في كتابه á Nfø B G ø$ š Å J ø$qè @$b) (p% šú ï% $•ÿ2 ø) ê[2].

حقيقة هذه المقولة الشنيعة لم يسبق لها في تاريخ البشرية، فالنصارى هم الذين أحدثوا هذه المقولة عليهم من الله ما يستحقون، ووجه شبهتهم: لما رأوا أن الله قد أيده بمعجزات عظمى ليست في مقدور البشر: كالإخبار بالغيب وإحياء الموتى، وإبرائه للأكمه والأبرص، وخلقه من الطين كهيئة الطير وغيرها، والقرآن الكريم قد صرح أن هذه الأمور كانت بقدرة الله وأمره.

والقائلون لهذه المقولة هم على ما هو مشهور اليعقوبية المدعون بأن الله سبحانه قد يحل في بدن إنسان معين أو في روحه[3].

قال الشهرستاني*: اليعقوبية أصحاب يعقوب. قالوا بالأقانيم كما ذكرنا - وهي العلم والوجود والحياة — وقالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن ø š Å J ø$qè @$b) (p% šú ï% $•ÿ2 ø) ê[4] á Nfø B G ø$ فمنهم من قال إن المسيح ظهر اللاهوت بالناسوت، فصار ناسوت المسيح فظهر الجوهر لا على طريق حلول جزء فيه، وعلى سبيل اتحاد الكلمة التي في حكم الصفة بل هو هو وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان وكما أخبر التنزيل عن جبريل — عليه السلام — â $ÈŒ ™ #Ž³ ($g9 @ JFù â[5] وزعم أكثر

---

(١) سورة المائدة: ١٨.

(٢) سورة المائدة: ١٧.

(٣) تفسير الآلوسي (١٣٢/٤).

(*) الشهرستاني هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي المتكلم والمؤلف المشهور ولد ببلدة شهرستان شمال خرسان وبها نشأ وتلقى العلوم على شيوخ عصره وكان رحَّالة في طلب العلم مقدمة الملل والنحل ٣/١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

(٤) سورة المائدة: ٧٢.

(٥) سورة مريم: ١٧.

اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد وأقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعته، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركب تركيبا كما تركبت الـــنفس والبدن، فصار جوهراً واحداً وأقنوتاً واحداً وهو إنسان كله وإله كله... الخ[١].

ولكن القرآن بين زيف أقوالهم وسذاجة عقولهم في هذه الفرية العظيمة حيث قـــال:

ï c Ĵ$®ø© «ł$`ËBÛ• Ĵðƒ ` Jù@ê Nƒ«BÙ¼ß$ŠÅJ¼ß$qè©$bĴ{þß%šú ï¼©$•ÿŸ2 ß)©â

ÏN°q»Jj¡ 9$Û• tßł÷r $ß'Šld ÇJ ör{$'Î Æ Br ½çBé¤ Nƒ«B šÆ ß$x‹ÅJ¼ß$š• Ĵ@ãb& Š#'&

3' •»Á¥9$ß Šqß‹¼ß$M9$%r Ç:ÐÈ ê@¼% ¤ß« è@ä4?ã ª! $ß âß±„$B ß,è¢r $JßZ÷/ $Br ÇJ ör{$ß

âß±„`JÏ ëÿø ,÷{ ô÷ßBž³0 OêR&@/ Nâ Ïqßâ Ï Nâqß£èãNÎù@ê ¼çà»6Ïm&r «ł$ß(à»Ÿß ßtß

.[٢]á Ç:ÌÈ ç•Ã JßßÏnø Ĵr $JßZ÷/ $Br ÇJ ör{$ß ÏN°q»Jj¡ 9$à7 tßł÷r âß±„`B ÙÞJ£èãr

أما عن قولهم إن الله ثالث ثلاثة فقد جاء صريح كفرهم في قولـــه تعـــالى: ß)©â

'Î ł{qè@? Ÿw É»GÅ6 ß$Ÿ@d'»ƒ â [٣]á ã7W»=0 ß,Ï$0 @$ž c Ĵ{þß% ûï¼©$•ÿŸ2

«ł$Ú^ qP‘ Nƒ«BÙ¼ß$Ó¤ŠÃ ß Š ÅJ¼ß$JR Ĵ ¨; sß$ž Ĵ «ł$'?ã ł{qßà? Ÿwr ßà6 Ï ƒŠ

#Ž z ł{qßFR$ Ĵ W»=0 ł{qßà? Ÿwr ¾ÎÎ ßâr «ł$Ĵ ł{qßB$«ù qŽB Ór âr Nƒ«B 4<Ĵ $g9) ß Ÿ ç£JÎŸ2 r

.[٤]á ß Ór ¼ß šc qßƒ b& Ÿ ç¥»s ß Ÿ ¼Ïm°r »9Ĵ ª! $$JR Ĵ ßà6 ©

قال القرطبي – رحمه الله –: "والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث ويقولـــون إن الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم، فيجعلون كل أقنوم إلها، ويعنون بـــالأقنوم الوجـــود والحياة والعلم، وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القـــدس، فيعنـــون بـــالأب

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ٥٢١

(٢) سورة المائدة: ١٧ – ١٨.

(٣) سورة المائدة: ٧٣.

(٤) سورة النساء: ١٧١.

الوجود، وبالروح الحياة، وبالابن المسيح[١]، وقد بين القرآن حقيقة عيسى – عليه السلام – في غير موضع.

فقد جاءت آيات صريحة في بيان أن عيسى – عليه السلام - عبد ورسول من عند الله حاله كحال غيره من الأنبياء والرسل [٢].

وقد جاء في التنزيل من وصايا عيسى – عليه السلام – لقومه [٣].

وقال عنه تعالى: [٤].

كما جاءت آيات تصرح أن عيسى – عليه السلام - بين حقيقة نفسه، وأنه عبد الله، ويتره ربه عن كل نقص وعيب [٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٣١٣.

(٢) سورة مريم: ٣٦.

(٣) سورة المائدة: ٧٢.

(٤) سورة المائدة: ٧٥.

(٥) سورة المائدة: ١١٦ – ١١٧.

أما عن قول النصارى المسيح ابن الله ولعل هذه المقولة نشأت عندهم؛ لأنـــه تعـــالى خلق عيسى – عليه السلام - من أم دون أب على غير الطريقة المعتادة في خلق سائر البشر.

فقد بين لهم القرآن إن حقيقة استغرابهم من خلق عيسى – عليه السلام- كالتعجب من خلق آدم وحواء قال تعالى: â Î c ž B V@ä Š¤|4ä Z‰$ I» .J V@ä #ŠP z=)ç¼ B` ê•# 5 ê@ %$A 9ç¼ ä` ù‹ä q ä È Î Ç á.[1]

وقد خاصمهم القرآن في هذه المقولة الشنيعة فقال تعالى: â r‰# q($ B ƒ‹ $ 9$ q H» B r!$# È Ç %)ß Å ¥ ü© ø $ Î% # È Ç ? 6 Ž$ 9$ J»q N ¡ ƒÿG ö ÿ ä ?B r ? ± ‘$ ¡ $ Ç ö Ú B r ’ /j ŠB d ‰% # È Ç b ¡Š ã ? $ q H» B r# $ È Ç b ^7 Š ó Ó $ q H» B r!$ # È Ç b ƒ ,Ï < r $ q H» B r! $ # È Ç b Î 2 à@ B ` Î ’ $ 9$ J»q N ¡ ’ Î ÷ ` B â Ç ` Ó È Ç 9 à $ ? Æ ô ‰ Y ã Î ‰ ÷ ã Ç ‰ # È Ç ? ä ` ¢ ä ÿ ƒÅ ? ô ‰ Î# ï è ‹ ä q ƒ $ ŠÅ ô ‰ ‹ # È Ç á.[2]

كما نزه الله نفسه عن اتخاذ الصاحبة والولد وأن هذه من صفات العجز والنقص لا تليق به تبارك وتعالى: â /‰ƒ ß ì$ 9$ J»q N ¡ ’ Î ÷ ` B r ƒÁ 9 à q ä 3 ? B 3 ` ? © 9 r ¨ ä ? ~`@ ? B ‰ 1 ¹ | »6 p r ã 9 r= , ä @ 2 à @ ô ` « ä ó ô ` «) È È Ç á.[3]

---

(١) سورة آل عمران: ٥٩ .

(٢) سورة مريم: ٨٨ – ٩٥.

(٣) سورة الأنعام: ١٠١.

كما جاء الوعيد الشديد عن من نسب له الولد قال في التنزيل Ðüë ôË ¾ïî MÇ; $B â

.[1] á ÇÎÈ $YÉ. ŵî šc qèqà/ bî ïûÜºqø ôË ß ëB ZJÎ2 ïŽã ôûí$/ ẅr

وبهذا نصل إلى نهاية الحديث عن دعوة النبي r قومه إلى عبودية الله وحده لا شريك له ولهذا اختتمت الرسالة بهذا النبي الكريم وبهذا الدين العظيم، وظهور الإسلام على الدين كله، حصل في العالم باتباع أهل الملل إياه في سائر الأقطار بالرغم من كراهية أقوامهم وعظماء مللهم لدين الإسلام، ومقاومتهم إياه بكل حيلة، ومع ذلك فقد ظهر وعلا وبان فضله على الأديان التي جاورها، وسلامته من الخرافات والأوهام التي تعلقوا بها، وما صلحت بعض أمورهم إلا فيما حاكوه من أحوال المسلمين وأسباب نهوضهم ولا يلزم من إظهارها على الأديان أن تنقرض تلك الأديان[2].

(١) سورة الكهف: ٥.

(٢) التحرير والتنوير (١٧٤/٥) .

المبحث السابع

نماذج من دعوة بعض الصالحين أقوامهم إلى أفراد العبادة لله وحده

نماذج من دعوة بعض الصالحين أقوامهم إلى إفراد العبادة لله وحده ودعوتهم إليها :

أولاً: قصة الرجل الصالح من أهل القرية التي وردت في سورة يس:

كان منهج الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – في الدعوة إلى الله وتوحيد الدين له أنموذجا رائعا حيا، بدا أثره الملموس على تلك الأمم والشعوب، فقد اهتدى للحق من اهتدى، وضل في دياجير الباطل من ضل.

وقد صور القرآن واقع عباد صالحين نهجوا ذلك المنهج الرباني، وسلكوا ذلكم الطريق القويم فقد كانوا خير خلف لخير سلف، ومن استقرأ نصوص التنزيل وجد تسليط الضوء على تلك النخبة الممتازة من البشر، فقد سخرت نفسها لعبودية خالقها، وحققت هذه القضية الكبرى على أرض الواقع، فقد سلك السبيل من استنار عقله بنور الإيمان واهتدى بهدي الوحي، ولكن لا يزال الصراع بين الحق والباطل قائما إلى يوم القيامة، فمنهم طائفة لم تنهج هذا المنهج وخالفت الفطرة فلم ترتض هذا الدين، وهذه هي عجلة الحياة تدور على هذا المنوال إلى قيام الساعة.

ومن تلك النماذج المشرقة، قصة الرجل الصالح من أصحاب القرية، التي ورد ذكرها في سورة يس، فقد أرسل الله لها اثنين من الرسل، فلما كذبوهما عززنا بثالث – من أجل قيام الحجة –ولكن كانت النتيجة هي العناد والمكابرة بل لم يكتفوا بالاستكبار، بل أخذوا يجادلون رسلهم بالباطل، وجاءوا بشبه ترددت على ألسن كثير من الكذبين للرسل (bqçÉ3? ÿw) ÓÇR& Þ) æÓ« `Ï ß»Hq$$A"R& $Br $Y#Ï ž³ 0 ÿw) ÓÇR& $B {q#%) فما كان من الرسل إلا بيان الحق وإيضاحه â ÇÏÈ Úú ü7Ï#à»=7#ÿw) $Z#æ $Br ÇÏÈ bqè=ÉÏ3 Ó#æ) $R) Ð-è/ $Z‘ {q#% ÇÏÈ bqçÉ3? Nææ#Ü {q#% ÇÏÈ Ò$% è# < ã $ZÏ Oæ#¡ J<9r æ#Ï#Ž9 {qF^? Ó©ü#È Næ) $R•Ü? $R) {q#% .(٢)(١) á ÇÏÈ šc qè=É#B Ró% ÓÇR& @/ Oè#2 é ûÉ Næ#èB

---

(١) سورة يس، ١٥.

(٢) سورة يس، ١٥- ١٩.

لكن الله تعالى برحمته ولطفه بأهل القرية لم يعاجلهم بالعقوبة، بل سخر لهم عبـــداً صالحاً جاءهم من أقصى المدينة، يأمرهم باتباع الرسل، وتحقيق عبودية الله وحـــده

عطف على قصة التحاور الجاري بين أصحاب القرية والرسل الثلاثة؛ لبيان البون بين حال المعاندين من أهل القريـــة، وحال الرجل المؤمن منهم الذي وعظهم بموعظة بالغة شاملة نافعة[٢].

فقد استخدم هذا الرجل الصالح الأسلوب الأمثل في الدعوة إلى الله وهـــو التحلـــي بالحلم والرفق، فلم يتخذ معهم أسلوب العنف والشدة، بل تحلى بالصبر والرفـــق؛ وذلـــك واضح من قوله (يا قوم) لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته[٣].

وجملة "مؤكدة لجملة " مع زيادة الإيماء إلى علة اتباعهم بلوائح علامات الصدق والنصح على رسالتهم إذ هم يـــدعون إلى

---

(١) سورة يس، ٢٠ – ٣٢.

(٢) انظرالتحرير والتنوير (٣٦٥/٩) .

(٣) تفسير أبي السعود (٢٩٤/٥) .

هدى ولا نفع ينجر لهم من ذلك، فتمخضت دعوتهم لقصد هداية المرسل إليهم وهذه كلمة حكمة جامعة أي اتبعوا من لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم[١].

وقدم عبارة "brßGôB Nèr" على عبارة "#•ô&ïâéó„ẍv`B ƒqãÎ®$" لبيان صدق المرسلين؛ لأن القوم لما غلب عليهم التعلق بحب المال، جاءهم هذا العبد الصالح بما يزيل عنهم هذه الشبهة؛ وليحثهم على التأمل فيما يدعوهم إليه هؤلاء الرسل[٢] الذين وصفهم الباري جلت حكمته بقوله "brßGôB Nèr" فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له[٣].

" bqã_ëëïøÎr 'Î•Üù " ï‰Œ$ß‰çã&wí$Br " .

الاستفهام إنكاري[٤]، ومجيء الفعل أعبد بالمضارع للدلالة على التكرار وعدم التوقف عن عبودية الله تعالى فقد أمر الله نبيه r بالعبودية حتى الممات قال سبحانه: á ÇÌÈ Úú üÉ‹ø$7‹ïÙƒ4ßm 7/‘ ß6çã$r â[٥].

وأوثر الفعل (Î•Üù') على (خلقني)، لخصوصية دقيقة بديعة تناسب المقام؛ لأن الفعل (فطرني) فيه إلمام إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي إقامة الوجه للدين[٦] قال تعالى: « ‹ $ÉÈÜÙ ÖƒÏ‰ÖÖ ŵ $kÖ-æ ¨ $Z9$•Üù ÓÉ$‹ ‹ $N•ÖÙ $ZŽ‹m ÈÏ#Ù 7gô_r ÖÏ'ù â[٧].

á bqß-êƒ ŵÄ $Z9$ŽYò2 & Æ Â»9r Ðñ)ø$Úú ïè!$š• Ù°Ê

---

(١) التحرير والتنوير (٣٦٧/٩) .

(٢) انظر: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) تفسير ابن كثير (٧٤٤/٣) .

(٤) التحرير والتنوير (٣٦٨/٩) .

(٥) سورة الحجر: ٩٩.

(٦) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن (٣٢١/٣) .

(٧) سورة الروم: ٣٠.

وسر العدول عن إليه أرجع إلى (bqã_öêïnøîr) لمحة من ذكاء المؤمن، ففيها إلزام لهم بوجوب إفراد الله بالعبادة الذي ألزم بها نفسه، وفيها إلزام لنفسه أن عبادة الله والرجوع إليه مقصودان على المتكلم دون غيره[١].

(bqã_öêïnøîr) أي يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر[٢].

ثم اتبع حديثه معهم بإبطال عبادة الأصنام فقال: " ÈõŠìãbî þgÿ#ä ÿïnïrß `Ï äï¶ä

فجمع " ÆüîÞ @»=Ê 'Æ©Ê þõ ÇïÈ õrälÉZãẅr $\ø© ïgßè»ÿ© Óíã Çóêẅv ßØî ß»Hq$$

في هذا الكلام بين نصحهم والشهادة للرسل بالرسالة والاهتداء، والإخبار بتعيُّن عبـــادة الله وحده وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها والإخبار بضلال من عبدها والإعلان بإيمانه جهراً مع خوفه الشديد من قتلهم[٣] فقـــال: "ïîìÞî ÆMZB#ä þr õ

".ÈqãJð'$

اختلف في معنى هذه الآية على قولين:

القول الأول: قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم إيمانه بالله.

القول الثاني: قالوا بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم "اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، وأني قد آمنت بكم واتبعتكم فذكر أنه لما قال هذا القول ونـــصح لقومـــه النصيحة التي ذكرها الله في كتابه وثبوا به فقتلوه"[٤].

" `Ï Óí=è_r 'îr 'íïÞî $Jî ÇïÈ bqß=êƒ 'íqï% Mø»ƒ A$% pYgø$Èz¯Ï@Ï%

فلمـــا دخلـــها (pYgø$Èz¯Ï) لما قتلوه فلقي الله قيل لـــه " ûüÏ•ßß¹ 'íqï% Mø»ƒ A$% (bqß=êƒ).

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام (٣/٣٢١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٧٤٤) .

(٣) تفسير السعدي، ٦٩٤.

(٤) تفسير ابن جرير (١٠/٤٣٥) .

وفي (ما) "قولان: أحدهما: أنها مع غفر في موضع مصدر، والمعنى بغفران الله لي. والثاني: أنها بمعنى الذي، فالمعنى ليتهم يعلمون بالذي غفر لي به ربي فيؤمنون، فنصحهم حيًّا وميتـــاً، فلما قتلوه عجل الله لهم العذاب[1] فذلك قوله: ‰Zã_ `Ï ¾íÿ‰è/ .`Ï ¾ïÏÞq% 4?ã $ZØ#R& $Br â :

. á ÇÌÈ brß»z ÑÈ #Œîù Ø‰ïºr Ø sø¹ ŠvÎ ÑR%. bÎ ÇÌÈ û,Îí\Ø $Zä $Br ä$Jj 9$šÆ Ï

أي وما أنزلنا على قوم هذا الرجل المؤمن الذي قتله قومه فغضب الله له فعجل لهـــم النقمة وأهلكهم بالصيحة (ä$Jj 9$šÆ Ï ‰Zã_ `Ï) يعني الملائكة وقيل أي ما بعثنا إلـــيهم بعده نبيا ولا أنزلنا عليهم رسالة[2].

والراجح القول الأول، وهو اختيار ابن جرير – رحمه الله –[3].

قال الشوكاني – رحمه الله – في تفسيره:

"والظاهر أن معنى النظم القرآني تحقير شأنهم وتصغير أمرهم: أي ليسوا بأحقاء بـــأن نترل لإهلاكهم جنداً من السماء، بل أهلكناهم بصيحة واحدة كما يفيده قولـــه (ÑR%. bÎ) أي إن كانت العقوبة أو النقمة أو الأخذة إلا صيحة واحدة صاح بها جبريـــل (Ø sø¹ ŠvÎ) فأهلكهم".

قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة فإذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت[4].

ولهذا قال بعد هذه الآيـــة ¾ïÎ fqè%. ŠvÎ ©qR%§ `Ï OßgŠÏù $B Š$6è%$’?ã çŽÉ s»f â

@ä bÎr ÇÌÈ bqèÅ_ö ÷w ÑÏÒÎ ÑÈ& Ïr èœ%$šÆ Ï NG=6% $ZÊ=è& ô. f•ƒ Ò% ÇÌÈ brâÏÒó„

.[5] á ÇÌÈ brçÒ ä $Z/$©ÓÏid $#©

---

(١) زاد المسير علم التفسير ١١٧١.

(٢) انظر: زاد المسير ١١٧١ فتح القدير (٣٦٧/٤) .

(٣) تفسير ابن جرير (٤٣٧/١٠) .

(٤) فتح القدير (٣٦٧/٤) .

(٥) سورة يس: ٣٠ – ٣٢.

النموذج الثاني: قصة مؤمن آل فرعون.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨]

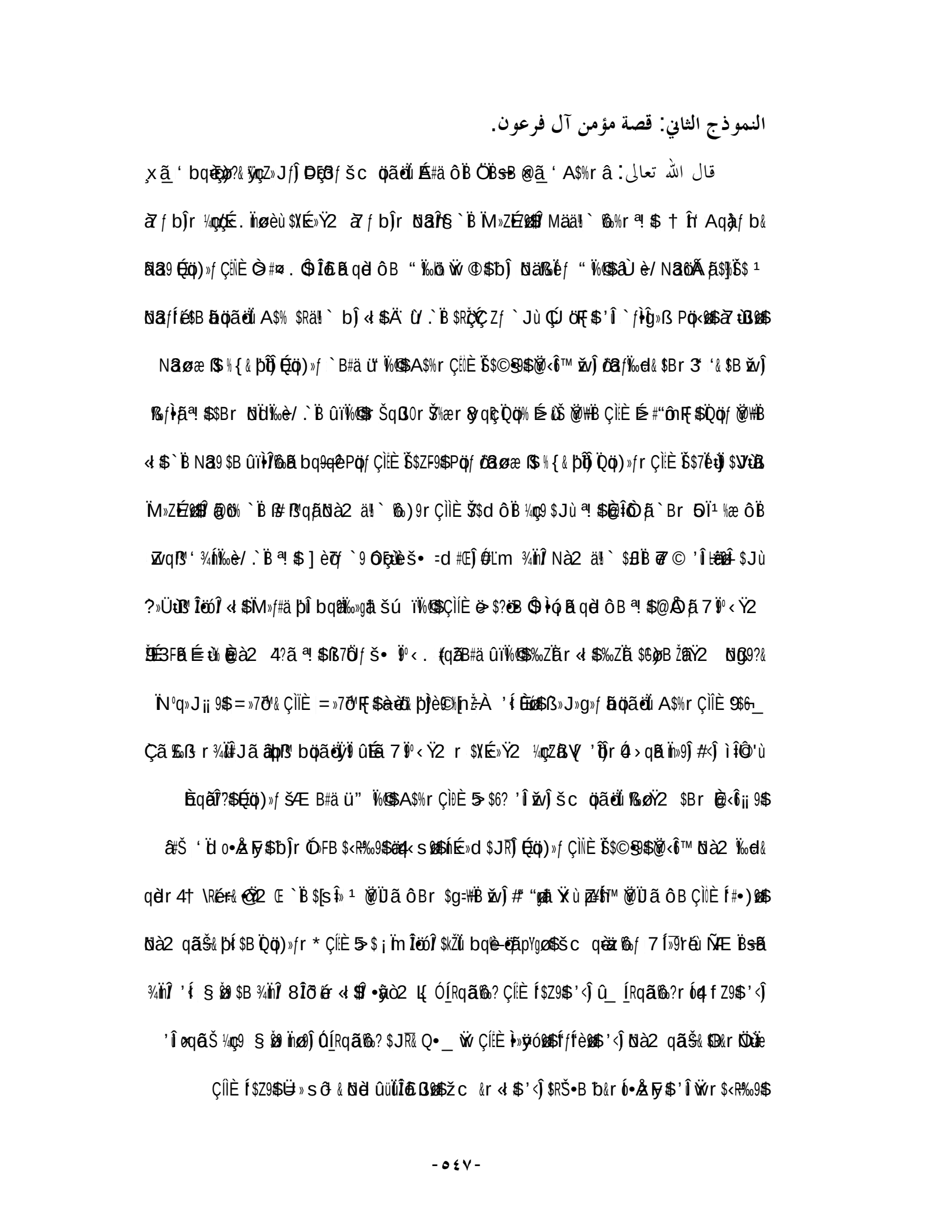

ç9%qù ÇÍÍÈ Ï$%6èøÎ 7•Ã / ©$žc Î «‹ $'‹Î ü" ›Ø& ÞÚ ÈÙé Ï à6 9 ÆqÈ& $B šc rëäõF¡ ù

#ÆÎâ $kÎæ šc qÆ•èÃÃ$Y9$ÇÍÍÈ É≥#‹è¢Æâ¤Ï bÖÃëÚ É$«Î -%nr ‹rë 6 B $B Å√ $«ÞÍ™ ª¡ $

.[1]á ÇÍÍÈ É≥#‹è¢Æ‰© šc ÖÃëÚ A#ä ‹þèÆš& èã$¡ 9$Æqà? Pö/r $‹Ï±ãr

كانت محاورة ذلكم الرجل الصالح الذي يكتم إيمانه من آل فرعون مع قوم موسى – عليه السلام - محاورة فريدة من نوعها، اتضح فيها صلاح هذا الرجل، وحرصه على نصح قومه وتوجيههم لما فيه صلاحهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة وكان من أبرز ما دعاهم إليه ما يلي:

١/ نهيه عن قتل موسى – عليه السلام –، والحال أن سبب قتلهم له كان بدون مبرر لكونه يقول (ª¡ $ † Îñ) وقد أقام الأدلة والبراهين التي تدل على صدق ما جاءكم به[2].

٢/ أنه قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل بأي حالة قدرت[3] (ïøèù $¥É»Ÿ2 ã7ƒ bÎr

.(Ïäß‰èƒ “ Ï‰$àÙè/ Nà6Ãã$]Š$¹ ã7ƒ bÎr ¼çÇÉ

قال ابن كثير – رحمه الله – في معنى الآية: "يعني إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه فإن يك كاذباً فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يكن صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة فمن الجائز عندكم أن يكون صادقاً فينبغي على هذا أن لا تتعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعوهم[4].

---

(١) سورة غافر: ٢٨، ٤٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٩٩/٤) .

(٣) تفسير السعدي، ٧٣٧.

(٤) تفسير ابن كثير (٩٩/٤) .

قال السعدي: – رحمه الله – "وهذا من حسن عقله ولطف دفعه عن موسى – عليه السلام – حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم وجعل الأمر دائراً بين تلك الحالتين وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم"(١).

٣/ أنه رضي الله عنه وأرضاه – خوفهم بالعذاب الأخروي، وأنه إذا حل بالعبد فلا مفر له ولا خلاص منه، ونهاهم عن الاغترار بالمُلك الظاهر.

٤/ كما أنه ذكرهم وخوفهم بعاقبة من سبقهم من الأمم السابقة الذين كذبوا أنبياءهم واجتمعوا على معارضتهم، فكان عاقبتهم الخسران في الدنيا والآخرة.

٥/ أيضاً خوفهم بالعقاب الحاصل لهم يوم القيامة إن هم استمروا في غيهم وفجورهم Ðï¹ ‰æ ôË «‹ $` Ë Nã9 $B ûïÌ?ßa bq9qêPöƒ ÇÌÈ Š$ZF9$Pöƒ ßaæ ¦S ‰{& þõ) Ïö)»ƒr â

. (٢)á ÇÌÌÈ Ž$d ôË ¼ç9 $Jù ª! $Ê@îÒ ã`Br

٦/ أنه –رضي الله عنه وأرضاه– زجرهم ووبخهم على تكذيب الأنبياء كيوسف –عليه السلام– وبين لهم ظنهم الفاسد الذي لم يقم على دليل وبرهان وهو قولهم #Œ) ØLm â

è $?ëB Ô Ì ó ã qè ô B ª! $@Ò ã 7 Ø° ‹ Ÿ2 Zvqß' ¾íï‰è/ .`Ë ª! $ ] è ƒ `9 Ò ÇÈš• =d

.(٣) á ÇÌÍÈ

قال ابن السعدي: – رحمه الله – "وهذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا به موسى – عليه السلام - ظلماً وعلواً، فهم المسرفون بتجاوزهم الحق وعدولهم عنه إلى الضلال وهم الكذبة حيث نسبوا ذلك إلى الله وكذبوا رسوله(٤).

٧/ أن من أمقت العباد وأشدهم بغضاً لله من اتصف بوصف المسرف الكذاب الذي لا ينفك عن المجادلة في آيات الله بغير حجة ولا برهان، ومن كان كذلك فقد وصفه سبحانه بقوله: â . ‹° Ø ƒ š• Ø7ß ª! $ 4?ã 2 ètâ É ãF3Ž ßè_ 9#6 á(٥).

---

(١) تفسير السعدي: ٧٣٧.

(٢) سورة غافر: ٣٢ - ٣٣

(٣) سورة غافر: ٣٤ .

(٤) تفسير السعدي: ٧٣٨.

(٥) سورة غافر: ٣٥.

٨/ نهي العبد الصالح قومه عن التمرد والطغيان وحثهم على الهداية للصراط المستقيم

[illegible]

.[١]

قال ابن القيم: – رحمه الله – "فأخبرهم أن الدنيا متاع يستمتع بها إلى غيرها وأن الآخرة هي المستقر، وإذا عرفت أن لذات الدنيا متاع وسبيل إلى لذات الآخرة، لذلك ما خلقت الدنيا لذاتها، فكل لذلة أعانت على لذة الآخرة، وأوصلت إليها لم يذم تناولها، بل يحمد بحسب إيصالها إلى لذة الآخرة، إذا عرف هذا فأعظم نعيم الآخرة ولذاتها النظر إلى وجه الله جل جلاله وسماع كلامه والقرب منه، وفي الحديث: (إنه إذا تجلى لهم ورأوه نسوا ما هم فيه من النعيم) [٢].

٩/ أنه – رضي الله عنه – دعاهم إلى تحقيق عبودية الله في الحياة الدنيا؛ لأن هذا سبب عظيم للفوز بجناته لقوله تعالى:

[illegible]

.[٣]

١٠/ ما أنه كان حريصاً كل الحرص على دعوة قومه إلى النجاة من عذاب الله، وذلك بطاعة الله وطاعة رسوله موسى – عليه السلام - وتصديقه فيما جاءهم به من عند ربه وهم كانوا على الضد فقد كانوا يدعونه إلى عمل أهل النار[٤].

---

(١) سورة غافر: ٣٨ – ٣٩.

(٢) رواه الآجري في الرؤية (٣٠) عن الحسن البصري قوله، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه كما في مختصر تاريخ دمشق ص: ١٠٨٨ عن ابن عمر موقوفا عليه، وقد رواه عبده بن حميد في مسنده كما في المطالب العالية للحافظ (١٣٨/١٣) وهو في مسنده عبده بن حميد (٤٧٠/٢) .

(٣) سورة غافر: ٤٠.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير: (٦٣/١١) .

١١/ أنه بين لهم خطر ما يدعونه إليه وهو الدعوة إلى عبودية غير الله من الأوثان والأصـــنام وغيرها حيث قال لهـــم

. á ÇÎÈ Í$Z9$Ü»s ô & Ùè ûüÎÎ6 Ò ø$žc &r «‹ $'‹Ï $RŠ•B Þ &r Ó•Å Ÿ$

١٢/ أن هذه العبر وهذه النصائح والإرشادات من العبد الصالح لقومه لم تـــرعهم اهتمامـــاً ولكنه ذكرهم بأنهم سيتذكرون هذه الدرر الثمينة حال معاينتهم العذاب.

١٣/ عبودية التوكل التي كانت سمة ظاهرة في شخصية العبد الصالح، حيث كان لا يخاف في الله لومة لائم ولا ضرر الأشرار، فكانت النتيجة أن وقاه الله سيئات ما مكروا وحـــاق بآل فرعون سوء العذاب وهو دخولهم النار خالدين فيها.

النموذج الثالث: وصية لقمان الحكيم لابنه:

قال تعالى: .[1]

وصى لقمان ابنه بعدة وصايا، وقبل أن ندخل في هذا الموضوع نعرّف بلقمان:

---

(١) سورة لقمان: ١٢ -١٩.

اختلف في اسمه على أقوال:

١/ قيل: إنه لقمان، بن عنقاء، بن سدون، في قول حكاه السهيلي[١].

٢/ قيل هو لقمان، بن باعوراء، بن ناجور، بن تارح، وتارح هو آزر أبو إبراهيم – عليه السلام - كذا نسبه ابن إسحاق[٢]*.

٣/ وقيل أيضاً في اسمه: هو لقمان، بن ثاران. حكاه السهيلي عن ابن جرير والقتيبي.

ولكن أقول: خلاف العلماء في اسمه ليس فيه ثمة فائدة، ولكن ابن كثير - رحمه الله – في تفسيره وتاريخه يرجح القول الأول – والله أعلم – حيث قال: وهو لقمان بن عنقاء بن سدون، ثم قال: لقمان بن ثاران، فكما اختلفوا في اسمه اختلفوا في نبوته وعدمها هل هو نبي أم لا ؟!

الجمهور قالوا كان حكيما صالحا، واعتمد مالك في الموطأ، فذكره في جامع الموطأ مرتين بوصف لقمان الحكيم، وذلك يقتضي أنه اشتهر بذلك بين علماء المدينة، كما أنه يظهر من الآيات المذكورة في قصته هذه أنه لم يكن نبيا؛ لأنه لم يمتن عليه بوحي، ولا بكلام الملائكة، والاقتصار على أنه أوتي الحكمة يومئ إلى أنه ألهم الحكمة ونطق بها؛ ولأنه لما ذكر تعليمه لابنه قال تعالى: (¼çãèƒ qèdr) وذلك مؤذن بأنه تعليم لا تبليغ تشريع[٣].

وذهب عكرمة والشعبي – رحمهما الله -: إلى أن لقمان نبي، ولفظ الحكمة يسمح بهذا القول؛ لأن الحكمة أطلقت على النبوءة في كثير من القرآن كقوله في داود – عليه السلام – á É ÜÏ Ï ùr pJ Â .

وقد فسرت الحكمة بالنبوة في قوله تعالى: Br â

وأن الحكمة معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه وأعلاها النبوة؛ لأنها علم

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي السهيلي أبو القاسم صنف تعريف الأنام بما في القرآن من الأعلام كان أماماً في لسان العرب عالماً بالتفسير وصناعة الحديث عارفاً بالرجال والأنساب وعلم الكلام وأصول الفقه توفي ٨٥٨هـ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٤٨/٤ طبقات المفسرين للداوودي ٤٤٢/١.

(٢) تفسير القرطبي (٥٩/٧) .

(*) محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق إمام المغازي قال الحافظ ابن حجر (صدوق يدلس) رُمي بالتشيع والقدر مات سنة ١٥٠هـ تقريب التهذيب ٤٦٧هـ.

(٣) البداية والنهاية (١٢٣/٢)، موطأ مالك بن أنس ٩٩٠/٢، ١٠٠٢/٢، دار النشر: دار إحياء التراث العربي مصر تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

بالحقائق، مأمون من أن يكون مخالفا لما هي عليه في نفس الأمر، إذ النبوة متلقاة من الله الذي لا يعزب عن علمه شيء[١].

أما مواعظه لابنه فهي:

الموعظة الأولى:

وعظ لقمان ابنه بأعظم موعظة، وأكبر قضية من قضايا الدين، وهي قضية التوحيد والعقيدة فقد دعاه إلى عبودية الله تعالى، ونهاه عن الشرك بالله، كل هذا بأسلوب لطيف بعباره (يا بني) كناية عن الشفقه به والتحبب له والاهتمام بأمره وإخلاص النصح، وابتغاء الخير له مما يدفعه إلى الامتثال بما يعظه به[٢].

وسمى الشرك ظلما؛ لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا وهي منه ومن لا نعمة له أصلاً[٣]. ولأنه هنا ساوى بين من هو مستحق لأن تصرف له العبادة، وبين من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وهذا عين الظلم.

وقد فسرت هذه الآية ماجاء في سورة الأنعام بأن معنى الظلم الشرك، قال تعالى:

á brßGôB Nèr ßBF$8G9 7 Í9rÉOÙXÎ OGZ»Jƒ)(þÝÎ¡ Ó9r(qÃB#ä ûï¼$â[٤].

وقد شق نزول هذه الآية على أصحاب رسول الله r وقالوا: (وأينا لا يظلم نفسه[٥]؟ ! فقال النبي r : "ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه): á Ò$ãà Ouø9 8ÃÅ9$žc Î «!$ 8Î3(ÿw Ó6_ƒ â[٦].

ذكر الله هذه الوصية العظيمة لتأكيد ما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بتعميم النهي في الأشخاص والأحوال، لئلا يتوهم متوهم أن النهي خاص بابن لقمان أو ببعض

---

(١) التحرير والتنوير (٨/١٥١- ١٥٢) تفسير القرطبي (٧/٥٩ -٦٠) .

(٢) التحرير والتنوير (٨/١٥٣ - ١٥٥) .

(٣) تفسير النسفي: ٩١٧.

(٤) سورة الأنعام: ٨٢.

(٥) أخرجه البخاري (٢/٤٨٤) برقم (٣٣٦٠) ومسلم (١/٢٢٧) برقم (١٢٤) .

(٦) سورة لقمان: ١٣.

الأحوال فحكى القرآن أن الله أوصى بذلك كل إنسان، وأن لا هوادة فيه ولو في أحـــرج الأحوال وهي حال مجاهدة الوالدين أولادهم على الإشراك[١].

(Ò§ã Ùè¿ 8ž¤9$Žc Î) ظلم للنفس وظلم للغير، فبالشرك يتعرض المرء لسخط الله في الدنيا والآخرة، ويعيش كما تعيش الأنعام، ليس له من وراء الحياة هـــدف يـــسعى لتحقيقه سوى أن يأكل ويشرب، ويرتع ويلعب، ثم يكون مصيره يوم القيامة النار وبـــئس القرار[٢].

وفي الآية الأخرى وصية الأبناء ببر الآباء وقد قرن الله طاعته بطاعـــة الوالـــدين في مواضع من كتابه كقوله تعالى: á $Z» ¡ ôÎ) Ï¹qè@ r ç wÎ) ÿ¾Ï Ï7 ÓÍ r â[٣] فالله أمر عباده بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف والفعل الجميل، والتواضـــع لهما وإكرامهما وإجلالهما، والقيام بمؤونتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه بالقول والفعل[٤] والحكمة في وصية الأبناء بالآباء كثيراً هي: أن الآباء بطبعهم مؤهلـــون لخدمـــة أبنائهم ورعايتهم مفطورون على حبهم والعطف عليهم، حريصون بطـــبعهم علـــى مـــا يصلحهم وما يسعدهم في دنياهم وأخراهم، فوكلهم الله إلى جبلتهم التي خلقهم عليها أمـــا الأبناء فكثيراً ما ينسون أو يتناسون مكارم الآباء وفضائلهم في غمرة الحيـــاة ممـــا يجعلـــهم يبخسون الآباء حقوقهم، ولا يسدون إليهم شيئا من المعروف الذي فعله الآباء بهم، وتلـــك طبيعة جبل عليها الأبناء فاحتاجوا إلى تنبيه وتذكير ووعظ وزجر، حتى تـــستقيم الأمـــور ويتحقق الإنصاف بين الفروع والأصول[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (١٥٦/٨) .

(٢) لقمان ووصاياه في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد سليمان بن علي القبس، إشراف د. فريـــد مـــصطفى سلمان ١٤٠٧هـــ، جامعة الإمام، كلية أصول الدين، ص١٧٩.

(٣) سورة الإسراء: ٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٦٤٨.

(٥) لقمان ووصاياه في القرآن الكريم ٢٧٠.

الموعظة الثانية:

التزام عبودية المراقبة لله تعالى وأن هذه المنزلة أعلى مراتب الدين أعني مرتبة (الإحسان) لأن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[١].

ÇÚ öF$'Î Ï Ì Ïºq»J¡ 9$'Î Ï ÷ ¹ 'Î ` FÙ ŠÖz ôÏ 7m A$)Ï ? bÎ $kXÎ 0_ƒ â

.[٢]á ÇÈ Ï ž•Î z Ï# ‹Ü9 @$bÎ ª! $$kÍ ÏÙƒ

فالمراقبة: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين، هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت، وكل لحظة، وكل نفس، وكل طرفة عين[٣]، فهو القريب من جميع خلقه بعلمه المحيط بهم، ورقابته على جميع أحوالهم فهو الرقيب على الخواطر واللواحظ وهو العليم المحيط علمه بكل شيء[٤] â É ø$ Ï»ã â .[٥]á ‰»g± 9$

فهو سبحانه بعلمه أقرب إلى الإنسان من [٦]á ÇÈ âr Á 9$ ‘ ÿ $Br F$pZ { â

حبل وريده كما قال تعالى: â ÏR ¾ Ý ÿ ¾ Î â ÏÕ qÊ$Bر Ð-èRr ` » ¡ $Y$$Z z)9r â

.[٧]á ‰ƒf q Ï Ï ô Ï Ï Ï Ï

وقال سبحانه: â ÏÚ •? 9% â $Br ÏºqJ¡ 9$'Î $B -èƒ $Ï& •? 9% â Üc qà6 ƒ $B ÇÚ öF$'Î

ŽÏ Ÿò2 & wr 7 ºE ` 4T& wr Ï$™ qè ŽÏ Þ¡ ÷ wr ôÎ# ‘ qè ŽÏ Þ»=0 3 qÏ ` Ï

---

(١) جزء من حديث عمر الطويل، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد صفحة: ٢٦، ومسلم في الصحيح (٢٩/١) برقم (١، ٣، ٤).

(٢) سورة لقمان: ١٦.

(٣) مدارج السالكين (٦٥/٢).

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) سورة الأنعام: ٧٣.

(٦) سورة غافر: ١٩.

(٧) سورة ق: ١٦.

[1] يعني بعلمه المحيط بكل شيء الشامل لكل شيء ولهذا ختم الآية

[2].

لهذا ينبغي للعبد أن يسخر وقته لطاعة ربه ومرضاته، فهو سبحانه لا تخفى عليه خافية فيؤمن أن هذه الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر، فيبعث الله فيها الخلائق ويحشرهم إليه جميعا ليحاسبهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره[3].

الموعظة الثالثة:

[4].

قال أبو حيان[5] في تفسيره: لما نهاه أولاً عن الشرك، وأخبره ثانيا بعلمه تعالى وظاهر قدرته أمره بما يتوسل به إلى الله من الطاعات، فبدأ بأشرفها وهي الصلاة، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بالصبر على ما يصيبه من المحن بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكثيراً ما يؤدي فاعل ذلك إلى عداء الناس له وتآمرهم عليه[6].

( ) ليس المقصود بها أداء الصلوات فحسب، إنما القيام بحدودها وفرائضها والخشوع فيها، وأثرها على حياة المصلي فالصلاة لها آثارها الخيرة على الفرد والمجتمع وشتان بين المصلين الذين تحميهم صلاتهم عن كل خسيسة ورديئة وتضيء وجوههم بالبراءة والطهارة، وبين غيرهم ممن ليس لهم حام ولا حاجز يسيرهم الشيطان بلا مقود ويسوقهم ويعمي أبصارهم وبصيرتهم عن رؤية الحق فنجد وجوههم مظلمة منعكسة آثارها من غفلة القلب[7].

---

(١) سورة المجادلة: ٧.

(٢) سورة المجادلة: ٧.

(٣) انظر: منهاج المسلم للجزائري، ٣٩.

(٤) سورة لقمان: ١٧.

(٥) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، وكان من علماء الإثبات وكان يعظم شيه الإسلام ابن تيمية جداً، مات سنة خمس وأربعين وسبعمائة . ترجمته في حسن المحاضرة للسيوطي (١/٥٤٠).

(٦) تفسير البحر المحيط ١٨٣/٧.

(٧) الصلاة ومقاصدها، ص٧، للحكيم أبي عبد الله الترمذي، مطابع دار الكتاب العربي، مصر ١٩٦٥م.

كما أنها مدد لضمير المؤمن يقويه على فعل الخير وترك الشر، ومجانبة الفحشاء والمنكر ومقاومة الجزع عند الشر، والمنع عند الخير فهي تغرس في القلب مراقبة الله تعالى ورعاية حدوده، والحرص على المواقيت، والدقة في المواعيد والتغلب على نوازع الكسل والهوى وجوانب الضعف الإنساني، كما أنها تمده بقوة روحية ونفسية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا[1] قال تعالى: â ƒ'»ƒ'g$$©%!$# ` ä#B#(qãZtB$#(qãèÏGó™$# ¨$Î/ Î0ô9$# Ïî4q=¢Á9$# ¨bÎ) ©!$# yìB šúïÎŽÉ9»¢Á9$# Çìá[2] كما أن فيها تقوية لعضلات البدن، وفيها نشاط وتقوية للجسم ورياضة الأعضاء[3].

٢/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لما كان الدين عقيدة وعملا، وكان العمل عبادة ومعاملة راعى لقمان أن يجمع في وصاياه تلك الأمور الثلاثة، مبتدأ بالعقيدة وبيان المنهج الصحيح في سلوكها والقيام بها، منتهياً بغض الصوت، وجعل بينهما ما يتعلق بالعبادات والمعاملات، فحث ولده بعد نهيه عن الشرك بمراقبة الله تعالى، وأوصاه بإقام الصلاة بوصفها تعبيراً صادقاً عن العبودية لما فيها من الإنكسار والإطراح بين يدي الخالق، وما فيها من معاني العبودية الحقة من خضوع وخشوع وإنابة واستعانة، ثم أمره بأن يكون مصلحاً يرشد الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاح أمرهم، وتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين وصالحي المؤمنين، في كل أمة ودين فما خلت شريعة من هذه الدعامة التي يقوم عليها بنيان الأمة، ويرتكز عليها صرح مجدها وتقدمها[4].

فأمة العقيدة أمة لا تعيش لذاتها ومصالحها فقط، بل هي أمة ترى على عاتقها مسئولية إنقاذ البشرية مما هي فيه من الضلال؛ لأنها تشعر بنعمة اهتدائها إلى الله لذلك يجب أن تهدي غيرها[5].

---

(١) العبادة في الإسلام، للقرضاوي، ٢٣٠ – ٢٣٣.

(٢) سورة البقرة: ١٥٣.

(٣) العبادة في الإسلام: ٢٣٠.

(٤) انظر: لقمان ووصاياه في القرآن، ٣٥٤ بتصرف .

(٥) عقيدة التوحيد، ٤٤.

ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمراً ليس باليسير الهين وضح لقمان الحكيم لابنه طبيعة هذا العمل وأنه يحتاج إلى صبر ومصابرة، فما أصعبها إذا نظرنا لاصطدامها بطبائع الناس وشهواتهم ونزواتهم ومصالحهم ومنافعهم وغرورهم وكبريائهم وهبوط بعضهم وميوعة بعضهم، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى قوة نفس تبغض أقرب قريب وتهجره وتقاطعه في ذات الله ولذلك أمره بالصبر[1] فقال: 7ïºÆbî 7/$¹&$B4?ãæÆ3$r â

. áíqãVW$Ç¨ãôÏ

وللصبر ثلاثة أركان وهي:

١/ حبس النفس على المكروه.

٢/ تحمل الأذى في سبيله.

٣/ انتظار الفرج.

ومن تدرع بالصبر في هذه الأحوال كانت نتيجة صبره الفلاح المنشود الذي يحصل به على الهداية والفوز العظيم، وبنبيل ما وعد الله الصابرين من صلوات ورحمة.

ومن هنا يتبين لنا أن خصلة الصبر ضرورية ولازمة في حياة المسلم وبدونها لا يقوى على الثبات والاستمرار على أمر الله، ولن يحقق عبوديته لربه إذا ما تحلى بهذه الخصلة العظيمة[2].

الموعظة الرابعة: ←ïãẅ©$bî $m•BÇJöF$'îÄð?ẅrÄ$Z-ïš, ‰{ öÉÁêẅrâ

. áÇìÈ9qãùA$Fæ@ä

في هذه الموعظة والتي ستأتي بعدها يرشد لقمان الحكيم ابنه إلى الأسلوب التربوي في التعامل مع الناس، وذلك أن المرء إذا حصل على الهداية وأخذ يدعو الآخرين إلى اتباع الحق قد يكون في النفس شيء من الشهوات الخفية كالتكبر والعجب وتصعير الخد، فحذره من هذه الأمور فنهاه عن تحقير الناس ولا يعرض بوجهه عن الناس إذا كلموه تكبراً واحتقاراً، أي بل كن متواضعاً سهلا هينا لينا منبسط الوجه مستهل البشر، ولا تَسِرْ في الأرض مختالاً متبختراً عنيداً، فإن تلك المشية يبغضها الله تعالى، والله يعاقب كل مختال في مشيته معجب

---

(١) صفوة المفاهيم والآثار من تفسير القرآن العظيم، لعبد الرحمن بن محمد الدوسري (٤/٢٥٧).

(٢) المرجع السابق (٤/٤٨٦).

في نفسه فخور على غيره[١]، وقياساً على تصعير الخد نستطيع أن نقول: إن كل إعراض عن الناس على سبيل الكبر يدخل في ضمن هذه الظاهرة سواء أكان ذلك في الخد، أو في الوجه كلّه، أوفي الجسم كله؛ لأن المعنى في ذلك واحد[٢].

(\$m•B ÇÚ öŦ\$'îÄ ð?Ÿr) أي امش مشيا متوسطاً معتدلاً ليس بالبطيء المستضعف تزهداً ولا بالسريع المفرط الذي يثب وثب الشيطان[٣].

(9qã ù Æ\$Fæ@ä⁻ïâ Ÿ@\$bî) فكل هذه الصفات السيئة يمقتها الله ولا يحبها، ولا يحب من اتصف بها، فهي لا تجتمع في مؤمن عابد عالم بأمور دينه.

الموعظة الخامسة: ÑÏöÁ9 ÏNºqð FŦ\$•3R& bî 7ïö¹ `B ÙÒØø\$ š• íâB 'îÄÁ¥ø\$ â . á ÇÈÎ•Ütø\$

بعد أن بين له آداب حسن المعاملة مع الناس، قفاها بحسن الآداب في حالته الخاصة، وتلك حالتا المشي والتكلم، وهما أظهر ما يلوح على المرء من آدابه، والقصد: الوسط العدل بين طرفين، فالقصد في المشي هو أن يكون بين طرف التبختر وطرف الدبيب[٤] ثم أرشده إلى الأدب مع الله، ثم الأدب مع الناس[٥] فقال: (ÏNºqð FŦ\$•3R& bî 7ïö¹ `B ÙÒØø\$ Î•ÜtøÑÏöÁ9) أي ولا ترفع صوتك رفعاً شديداً لا فائدة منه واخفضه، فإن شدة الصوت تؤذي آلة السمع، وتدل على الغرور والاعتزاز المفرط بالنفس، وعدم الاكتراث بالغير، وإن اعتدال الصوت أوقر للمتكلم وأقرب لاستيعاب الكلام ووعيه وفهمه، وإن رفع الصوت أكثر من اللازم يشبه صوت الحمير، وإن أقبح الأصوات لصوت الحمير، وذلك مما يبغضه الله تعالى، وفي ذلك دلالة على ذم رفع الصوت من غير حاجة؛ لأن التشبيه بصوت الحمار

---

(١) التفسير الوسيط، أ. د. وهبة الزحيلي ٢٠٢٧/٣، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر دمشق سوريا، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حنبكة (٧٣٥/١) .

(٣) التفسير الوسيط ٢٠٢٧/٣، انظر الآباء والأبناء في القرآن الكريم، عادل عبد الحليم، ٢٢٠، مكتبة الخدمات الحديثية، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٤) تفسير التحرير والتنوير (١٦٨/٨) .

(٥) تفسير السعدي، ٦٤٩.

يقتضي غاية الذم[1] وأكد النبي r ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إذا سمعتم صياح الديك فاسألوا الله من فضله، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً)[2].

قال السعدي – رحمه الله – "وهذه الوصايا التي وصى بها لقمان ابنه تجمع أمهات الحكم وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعوا إلى فعلها إن كانت أمراً، وإلى تركها إن كانت نهياً، وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة أنها العلم بالأحكام وحِكمها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك وبين له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبيَّن له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما بل يحسن إليهما وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك وأمره بمراقبة الله وخوّفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشرك إلا أتى بها.

ونهاه عن التكبر وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وبالصبر اللذين سهل بهما كل أمر، كما قال تعالى فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا أن يكون مخصوصاً بالحكمة مشهوراً بها ولهذا من منَّة الله عليه وعلى سائر عباده أن قص عليهم من حكمته ما يكون لهم به أسوة حسنة"[3].

---

(١) التفسير الوسيط (٣/٢٠٢٨) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣١٢٧) (٣/١٢٠٢)، دار ابن كثير ط ٣، ١٤٠٧هـ، اليمامة بيروت، تعليق مصطفى ديب البغا، وأخرجه مسلم رقم (٢٧٢٩) صفحة: ٢٠٩٣ .

(٣) تفسير السعدي، ٦٤٩.